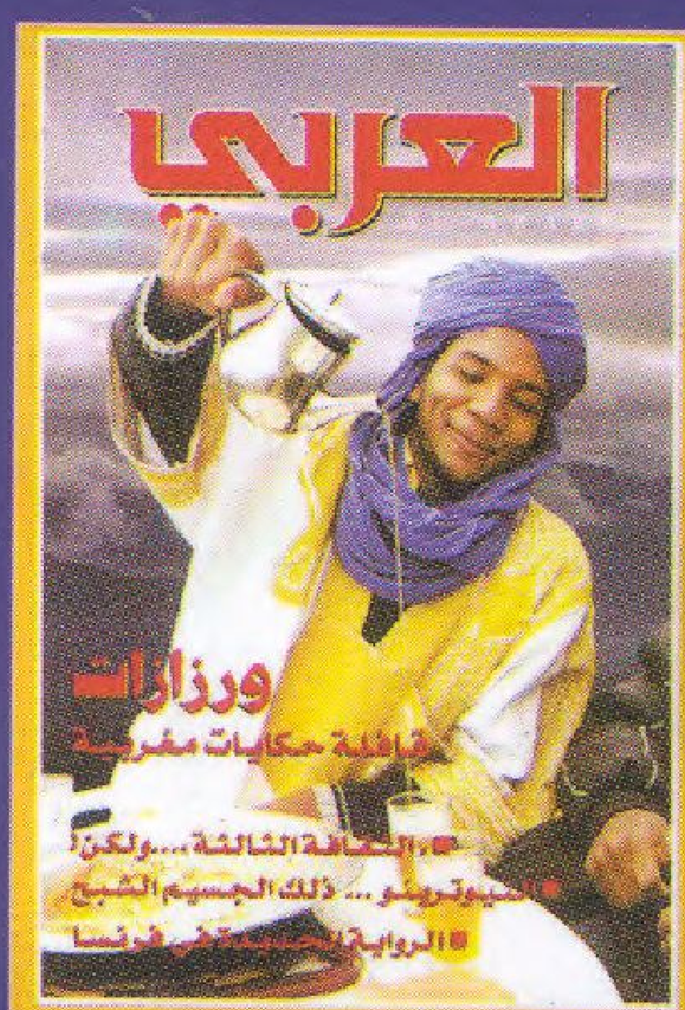
عبد الرحيم العلام

من الإصلاح إلى التنوير

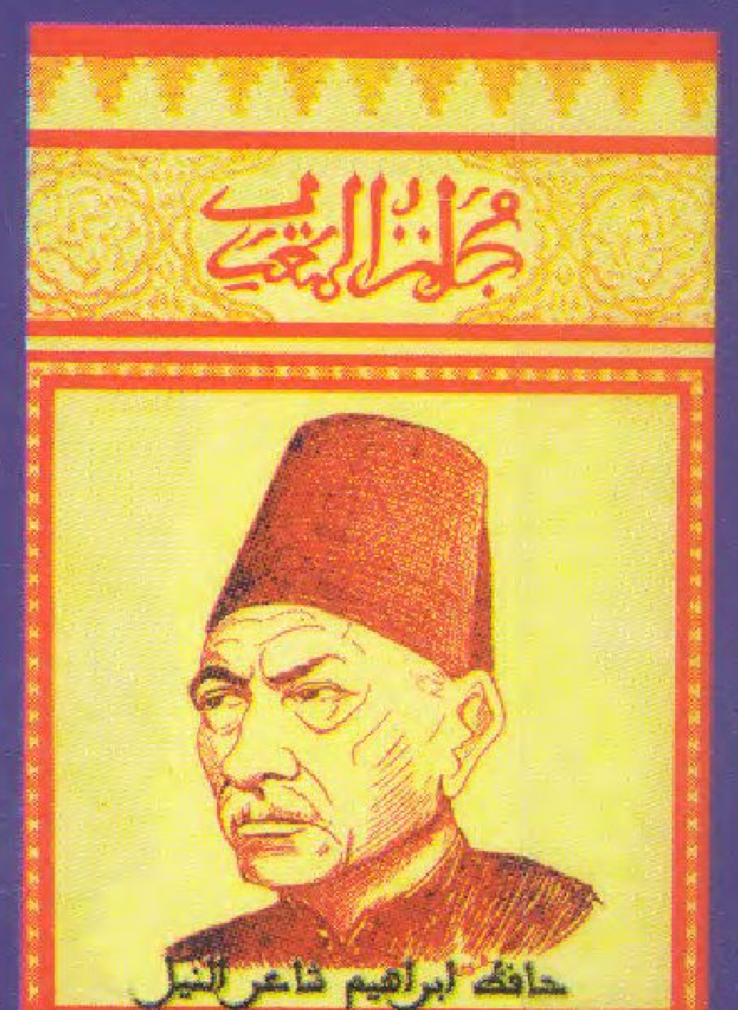
قراءة في المشروع الثقافي لمجلتي

مجلة المغرب
MAJALLAT EL MAGHRIB
و
العربي
AL ARABI





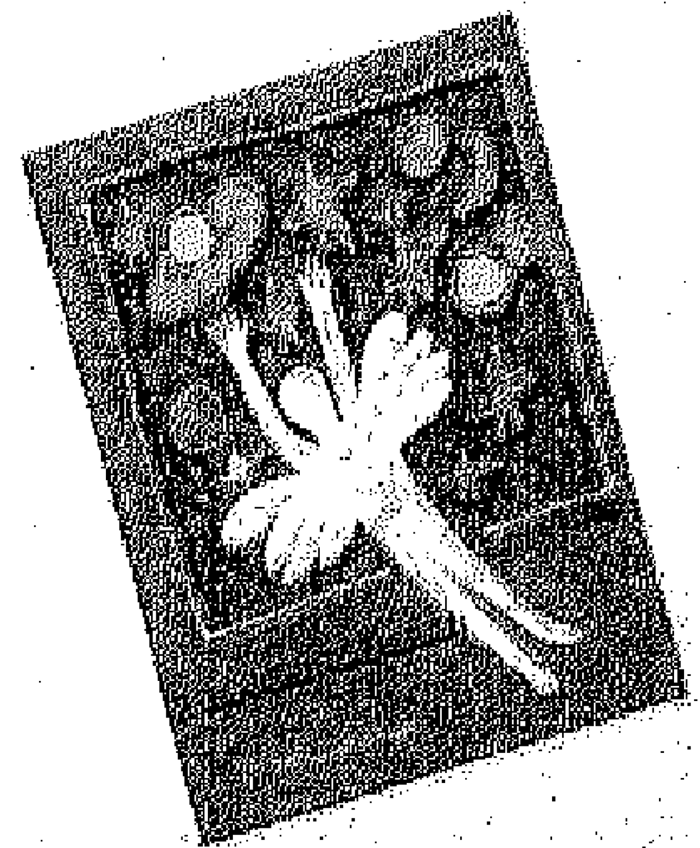




منشورات الموجة
EDITIONS MAOUJA

لوحتا الغلاف:
هبة العلام (3 سنوات)
تحية لمجلة
العربي الصغير







طبع هذا الكتاب
بدعم من المكتب الاعلامي
الكويتي بالرباط
احتفاء بالذكرى الخمسينية
لتأسيس مجلة العربي

عبد الرحيم العلام

من الإصلاح إلى التنوير

قراءة في المشروع الثقافي لمجلتي

مجلة المناهل و العربي



الكتاب: من الإصلاح إلى التنوير
المؤلف: عبد الرحيم العلام
الطبعة: الأولى 2007
حقوق الطبع: محفوظة
منشورات: الموجة
الإيداع القانوني:2007/1500
ردمك:7-16-450-9954

إلى

عبد الله العلام

معلمي الأول

تقديم:

الدكتور عبد الهادي التازي

كنا بحاجة ماسة إلى من يذكرنا بالخطوات التي قام بها زملاؤنا بالأمس في حقل الإصلاح والتنوير، ليس من أجل التذكير فقط، ولكن من أجل استخلاص العبرة ومتابعة المسيرة التي دشنها السابقون.

وقد شعرت بهذه الحاجة بالرغم من أنني عشت ظروفها سواء في الغرب أو في الشرق، أحسست بالحاجة إليها لأنني أعرف أن أبناءها لم يشهدوا ما مر بساحتهم، وبالأحرى لم تصل إليهم أصداء ما كانت تردده جهات كنا نعتبرها بعيدة عنا.

فكنا نتوق إلى من يستحضر معنا تلك الأيام التي كانت طالعة يمن بالنسبة إلينا، يستحضرها معنا بقلم صادق يستوعب ثنايا الأحداث ومرمى الأهداف الشريفة من الذين يسجلون الحدث بلغة مُضر التي تظل لساننا الذي نعتز به.

وقد ادخرت الأقدار هذه المهمة للباحث والناقد الأستاذ عبد الرحيم العلام الذي قام أحسن قيام -إلى جانب تآليفه المعروفة- بالمقارنات والمفارقات بين مجلة كنت أستمتع بتصفحها على ساحل المحيط وأنا ما أزال يافعا... كانت تحمل اسم (مجلة المغرب)، وبين مجلة أخرى صدرت في الخليج، وتحديدا بدولة الكويت، تحمل اسم (العربي)، وكان لي شرف أن أكون أول مراسل لها في المغرب.

وإن الذين يتطلعون إلى معرفة الآصرة التي تجمع بين البادرتين الاثنتين هم وحدهم الذين يقدرون هذا الفكر الإبداعي الذي حمل نجلنا عبد الرحيم على أن يقرن بين عمل ظهر في المغرب في ظروف كنا فيها بحاجة إلى من يرشدنا، بحكمة وتبصر، إلى الطريق... وبين عمل مماثل ظهر في الكويت كان يهدف أيضا إلى توعية المواطن بما ينبغي أن يكون عليه. وإني

لأغتنم هذه الفرصة لأستحضر روح الأستاذ صالح ميسة الذي كان يشرف على (مجلة المغرب) ولأذكر شخصية أستاذنا الدكتور أحمد زكي الذي كان يشرف على مجلة (العربي).

ولابد أن أنوه في هذا الصدد بالندوة السنوية التي تنظمها مجلة (العربي) التي لم تغب عنها دعوة نخبة من صفوة المفكرين ليشاركوها وقفة البرور بخطوات الأمس، يوم أن فكر المسؤولون في ضرورة إنشاء مجلة تعنى بتسجيل الأحداث وتسعى إلى تزويد القراء بما يقوي من زادهم المعرفي...

ولا شك أن تذكر زميلنا الأستاذ العلام لـ(مجلة المغرب) التي كان لها صيتها بالأمس، سيحملنا على السير جنبا إلى جنب مع البادرتين الاثنتين، وسيحمل إخواننا في الشرق على تتبع سيرتنا طوال القرن الماضي على نحو ما كان منا في الغرب ونحن نتبع خطواتهم عبر مجلة (العربي) الرائدة، التي كانت وستظل نموذجا للسفير الذي يرشدك ولا يتعبك ويؤنسك ولا يكلفك.

وإذا كان لي ما أضيفه من قول حول هذا الجهد القيم، فهو أن يصبح مادة وثائقية للذين يهمهم أن يعرفوا جيدا دور المجلة في تربية الجمهور، وفي تحسيس المواطن، أي مواطن، بالفضاء الذي يعيش فيه ومن حوله...

إن دور المجلة كما أراد لها الذين أنشأوها دور في منتهى الأهمية، لا سيما وهي لا تبخل على قرائها بما يتجدد في الساحة، سواء أكان علما أو اقتصادا أو صحة أو سياسة، وسواء أكان مما يهم الرجل أو المرأة أو الطفل...

وحسبي في ختام هذه الديباجة أن أقول إن مثل هذه البحوث يدخل في **العمل الدبلوماسي الموازي للعمل الدبلوماسي الرسمي**، والذي من شأنه أن يزيد في دعم العلاقات ومد الجسور ويرقى بنا إلى المستوى الرفيع الذي ننشده لغدنا الباسم.

ومتمنياتي بالمزيد من العطاء وحسن الأداء.

توطئة

يعود الفضل في إنجاز القراءات التي يضمها هذا الكتاب لمجلة «**العربي**» الكويتية، ولندوتها السنوية المتميزة «**ندوة مجلة العربي**»، ولوزارة **الإعلام الكويتية**، راعية هذه المجلة وندوتها. من ثم، فهذه المداخلات الثلاث هي ثمرة دعوات مشكورة من رئيس تحرير مجلة (العربي)، الدكتور سليمان إبراهيم العسكري، للحضور والمساهمة في بعض دورات هذه الندوة السنوية الكبرى بالكويت.

كما أن بعض مواضيع هذه المداخلات هي من اقتراح اللجنة التنظيمية للندوة، مما جعلها مواضيع ممتدة ومتكاملة فيما بينها، انطلاقا من كونها تتغيا الحفر في ذاكرة المجلات الثقافية العربية، والبحث في مشروعها الثقافي الكبير، وتحديدا من خلال البحث في المشروع الإصلاحي والتنويري لمجلتين ثقافيتين عربيتين جامعتين، ومتشابهتين، إلى حد ما، في توجههما الثقافي والعربي الشمولي، وفي بعض اهتماماتهما الثقافية والاجتماعية والتربوية الأساسية، بالرغم من المسافة القائمة بين زمني صدورهما؛ يتعلق الأمر، إذن، بـ(**مجلة المغرب**) المغربية و(**العربي**) الكويتية، مما حفزني على جمع هذه المداخلات بين دفتي هذا الكتاب، بمبادرة ودعم مشكورين من **المكتب الاعلامي الكويتي بالمغرب ووزارة الإعلام بالكويت**، لتصبح

مجموعة ومتداولة بهذا الشكل على أوسع نطاق، اعترافا بالدور التاريخي والثقافي الكبير الذي لعبته المجلة الثقافية في المغرب وفي الكويت، على حد سواء، ومشاركة منا، في هذه الضفة من الوطن العربي، في الاحتفاء بإطلالة **الذكرى الخمسينية لتأسيس مجلة (العربي)**، وبصدور العدد الأول منها قبل نصف قرن من الزمن؛ كان ذلك في فاتح ديسمبر 1958؛ خصوصا وأنها قراءات تتوخى، من خلال البحث في موضوعات وقضايا ومحاور محددة، إبراز جانب من الأدوار الطلائعية التي لعبتها هاتان المجلتان الثقافيتان، من زاوية مساهمتهما في بلورة جوانب من ثقافة الإصلاح وإصلاح الثقافة في مجتمعاتنا العربية، وتوثيق عرى التواصل الثقافي بين الأقطار العربية، واستشراف نهضة ثقافية وتنويرية وإشاعتها في البلاد العربية، على امتداد مراحل زمنية مهمة، وذلك بأشكال ومنظورات مختلفة وممتدة، من مجلة ثقافية إلى أخرى، ومن ماء المحيط إلى ماء الخليج.

فـ «**مجلة المغرب**» التي ظهرت بالرباط عام 1932، في سياق مناخ اجتماعي وثقافي محكوم بشروط وإرغامات تاريخية وسياسية معينة؛ من أهمهما تغلغل الاستعمار الأجنبي في البلاد، جعلت من بين أهدافها، منذ صدور عددها الأول، تبني النزعة الإصلاحية، والدعوة إليها والدفاع عنها، بل ودعمها في مختلف المجالات، السياسية والثقافية والدينية والتربوية والعلمية والأدبية والاجتماعية، إلى جانب حرصها أيضا، في افتتاحياتها ومقالاتها وأشعارها، وفي دعواتها الإصلاحية، على إحياء وترسيخ الوعي بالهوية العربية والإسلامية، وتعميق الشعور الوطني تجاه المستعمر الأجنبي، إلى أن توقفت هذه المجلة للأسف، بعد فترة قصيرة نسبيا من الصدور والنضال

والتوعية وتجديد الخطابات، فظهرت بعدها مجلات ثقافية مغربية جديدة، غير أنها لم تكن كلها مؤثرة بنفس المستوى، فتولت الصحافة هذه المهمة، إلى أن تأسست مجلات ثقافية أخرى مع بداية الستينيات من القرن الماضي، داخل مناخ سياسي واجتماعي وثقافي مغاير، وبتوجهات ورؤى جديدة، فراهنت بدورها على استكمال رسالة سابقاتها من المجلات وتطويرها، مما جعلها تحول بوصلتها هذه المرة نحو الدفاع عن إصلاح الثقافة والفكر والأدب في المغرب وفي العالم العربي، والدعوة إلى تجديدهما وتحريرهما، وجعلهما موصولين بأسئلة التغيير وتحديث المجتمعات العربية.

أما مجلة (**العربي**)، فظهرت في الكويت بمبادرة حميدة من «**دائرة المطبوعات**» آنذاك، في وقت شهد انحسار دور مجموعة من المجلات الثقافية العربية، سواء هنا في المغرب، حيث توقف عدد من المجلات الثقافية عن الصدور في عام 1957، قبل أن تظهر مجلات ثقافية جديدة لتستكمل المسار وبناء المشروع، أو هناك في مصر، التي شهدت اختفاء مجلات ثقافية كان لها صيتها وإشعاعها الثقافي على الصعيد العربي، كـ «المقتطف» و«الرسالة» و«الثقافة»...؛ فجاءت مجلة (العربي)، في خضم هذا الفراغ والنقص والتحول، لتواصل، إلى جانب مجلات ثقافية عربية أخرى، تشييد المشروع الثقافي والنهضوي والتربوي العربي، وأداء رسالتها الإعلامية والتنويرية، منذ بداية صدورها عام 1958 إلى اليوم، لكن برؤية وتوجه جديدين، منفتحين ومتحررين.

إلى جانب ذلك، ظلت مجلة (العربي)، على امتداد مسيرتها

الثقافية والتنويرية الطويلة، متماسكة وصامدة، ووفية لمبادئها الكبرى، ولاستقلالها غير المشروط، مستوعبة بذلك وظيفتها ودورها التاريخي والثقافي والعلمي والتربوي في بناء الإنسان العربي والمسلم وتثقيفه وتكوينه وتوعيته، عدا عملها باستمرار على تطوير شكلها ونضارتها وتوسيع فضائها الجمالي، باللغة والصورة، والزيادة في نسبة نسخها، تبعا لاتساع قاعدة قرائها من مختلف الأعمار والمشارب والجغرافيات، حيث أصبح من النادر جدا أن يخلو بيت عربي من مجلة (العربي)، عاكسة بذلك صدق رهانها وتوجهها العربي بامتياز، بموازاة مع ما شهدته موضوعاتها ومقالاتها وتحقيقاتها واستطلاعاتها من تجدد، ونقلات نوعية في شتى مناحي المعرفة والثقافة والأدب والفن؛ وتبعا أيضا لما تعرفه صفحاتها وملفاتها من انفتاح متزايد على العالم وثقافاته وجغرافياته وإنتاجه المعرفي والأدبي والعلمي والفني؛ إلى جانب مواكبتها الحثيثة لتحولاته التاريخية المتعاقبة، وتحدياته الثقافية والعلمية الكبرى، عبر دورات ثقافية مثمرة ومتجددة، مما جعل (العربي) اليوم، وبشهادة خيرة مثقفينا وقراء المجلة، من بين أهم المراجع الثقافية العربية التي تؤرخ للتطور الحضاري والتاريخي والثقافي والفكري والإبداعي والفني لمجتمعاتنا العربية، ولغيرها من المجتمعات الشرقية والغربية الأخرى التي وصلت إليها المجلة، واهتمت بحضارتها وتراثها ومدنها وأريافها وثقافاتها وفنونها...

من هنا، كانت غايتنا من وراء جمع هذه القراءات في هذا الكتاب إبراز جانب من الأدوار العديدة والمؤثرة التي لعبتها ولازالت تلعبها المجلة الثقافية العربية، هنا أو هناك، على مستوى رسالتها الإصلاحية والتوعوية، وأيضا على مستوى

دورها المستميت في مواكبة قضايا العصر، ومواصلة بناء مجتمع المعرفة ومعانقة التغيير، وبلورة أساسيات المعرفة العامة، وتبني العلم والثقافة العلمية وإشاعتهما في المجتمعات العربية، ودعم التواصل الثقافي والمعرفي والأدبي مع تراث الأمم المختلفة، ومع مثقفي وقراء العربية والثقافات الإنسانية.

وقد لا يتوقف الأمر عند هذا الحد؛ فمن شأن قراءات أخرى موازية، سواء في هاتين المجلتين الشهيرتين («مجلة المغرب» و«العربي»)، أو في غيرهما من المجلات الثقافية العربية الأخرى، أن تكشف لنا عن أدوار ووظائف أخرى، ريادية ونهضوية وتنويرية مؤثرة، لعبتها الدوريات الثقافية العربية، في مجموعة من الأقطار العربية - ومن بينها مجلات ثقافية عربية أشرنا إليها ضمن فصول هذا الكتاب-، سواء تعلق الأمر، هنا، بالمجلات الثقافية المتخصصة، أو بالمجلات الثقافية ذات الطبيعة الجامعة والمتكاملة، وذات التأثير الثقافي والإعلامي الواسع، والمنفتح على أكبر شريحة من القراء والمتلقين؛ وذلك جانب عملت الندوة الأخيرة التي نظمتها مجلة (العربي) بالكويت، في موضوع «**المجلات الثقافية ودورها في الإصلاح الثقافي**» (أواخر عام 2006)، على تناوله ومقاربته، من خلال التأريخ لسير بعض المجلات: «الثقافية» و«التاريخية» و«الفنية» و«النسائية» العربية، الرائدة والذائعة الصيت، والبحث في ذاكرة مجلات ثقافية أخرى، وفي الوظائف والأدوار التي اضطلعت بها؛ سواء تعلق الأمر، هنا، بتلك المجلات الثقافية التي صمدت في وجه الأزمات وضعف الإمكانيات والرقابة وسطوة وسائل الإعلام الحديثة، فاستمرت إلى يومنا هذا، أو بتلك المجلات التي استسلمت، فتوقفت عن الصدور، لهذا السبب أو ذاك...

"ولا شك أن وجود هذه المجلة بهذه الكيفية لم يعرفه قبل شمال أفريقيا ولا عهد لنا به. فهي في شكلها عظيمة... أما مواضيعها فهي أدبية، اجتماعية، اقتصادية وعلمية... وبالجملة فمجلة المغرب هي أول مجلة عربية صدرت حتى اليوم يمكن لها أن تحمل اسم مجلة".

جريدة الزمان التونسية،

في: "مجلة المغرب"، العدد الثالث، شتنبر 1932، ص35-36.

"ما سررت بمجلة تجيئني وما أكثرها وأكثر مصادرها سروري بمجلتكم، لا لأنها تفوق غيرها مادة وشكلا وطبعا وإتقانا، بل لأنها تصدر في المغرب، بالرباط... وإن في مجلتكم التي أسأل الله لها حياة ممتعة فتكون الأولى للكثيرات في المغرب -تتبعنها وتبارينها- وتكونون أول من أشعل المصباح وأول من نادوا باسم العلم: حيوا على الفلاح".

أمين الريحاني،

في: "مجلة المغرب"، العدد الخامس، نونبر- دجنبر 1932، ص6.

المجلات الثقافية بالمغرب

من ثقافة الإصلاح إلى إصلاح الثقافة

(مجلة المغرب)

أشكر مجلة (العربي)، من خلال ندوتها السنوية المتميزة، على كونها حفزتني، مرة أخرى، على خوض مغامرة البحث والحفر في ذاكرة المجلات الثقافية العربية، وتحديدا في المغرب هذه المرة، بعد تجربتين سابقتين، في إطار الندوة نفسها، مع القراءة والبحث في مجلة (العربي) الكويتية، عبر تأمل دورها الكبير في خلق جسور التواصل الثقافي وتوطيدها بين المشارقة والمغاربة، وفي إشاعة الثقافة العلمية واستشراف المستقبل العربي...

لقد كان لاقتراح اللجنة التنظيمية لموضوع هذا البحث في صيغته الأولى "**المجلات الثقافية ودورها في تحرير الإنسان المغربي والحفاظ على هويته العربية والإسلامية، ودور الجمعيات الثقافية في القيام بهذا الدور خلال القرن العشرين**" تأثيره الكبير علي، حيث ساهم هذا الموضوع، بشكل لافت، في تفتح مداركي على مرحلة تاريخية وثقافية أساسية في تاريخ المغرب الحديث، في جانبها الثقافي- الإصلاحي تحديدا، كما دفع بي إلى الاقتراب أكثر من دور بعض المجلات الثقافية المغربية الرائدة في تبني الإصلاح، في مفهومه وبعده الشمولي، والانخراط فيه، والدفاع عنه في مختلف المجالات الحيوية، وكذا الوقوف عند دور بعض المجلات الثقافية الأخرى، التي ظهرت فيما بعد، في الدفاع عن إصلاح الثقافة وتجديدها.

في الحاجة إلى صحافة ثقافية بالمغرب

لقد ظهرت المجلات الثقافية في المغرب بموازاة مع ميلاد الصحافة بشكل عام، وذلك بحكم تضافر مجموعة من العوامل الداخلية، تاريخية وسياسية وثقافية واجتماعية بالأساس، ساهمت، بشكل فعال، في تغذية الشعور السائد آنذاك بضرورة خلق منابر صحفية وثقافية، اعتبارا لهامش الحرية الذي كان قد بدأ يتسع، وخصوصا في شمال المغرب، هناك حيث كان يتواجد المستعمر الأجنبي الإسباني، مقارنة بما كانت تعرفه المناطق الأخرى التي كان يتواجد بها المستعمر الفرنسي من تضييق الخناق على حرية التعبير والصحافة؛ إلى جانب تضافر عوامل خارجية، ساهمت، هي أيضا، في انتعاش حركة الصحافة في المغرب بشكل عام، ومن بينها على الخصوص التأثير القوي للصحافة المشرقية، من صحف ومجلات ثقافية وأدبية ودينية، وما كان لها من دور نهضوي بارز في المشرق وفي "المغرب العربي" على حد سواء، كمجلات: "المنار" و"المؤيد" و"الهلال" و"المقتطف" و"المصور" و"العرفان"، وجريدة "الأهرام" اليومية و"السياسة" و"الفتح" الأسبوعيتين، حيث ازداد انتشار هذه الصحافة الوافدة في المغرب، وبرز تأثيرها الكبير في إذكاء روح الوعي القومي والشعور الوطني؛ وكلها عوامل متداخلة، ساهمت في ميلاد حركة نشيطة، في المغرب، في مجال الصحافة السياسية والثقافية بشكل خاص، على الأقل منذ الثلاثينيات من القرن الماضي.

وقد كانت الحاجة إلى الصحافة عموما، في تلك الفترة، دافعا أساسيا لمطالبة بعض رجالات الفكر والوطنية في المغرب

بـ "إيجاد صحافة مغربية"، تعبر عن "الرأي المغربي"، فأسسوا لجنة للمطالبة بالصحافة العربية بالمغرب، بعد أن رفضت السلطات الاستعمارية الفرنسية الترخيص لسعيد حجي بتأسيس مجلة ثقافية سماها (مراكش)[1]، حيث كان التداخل آنذاك في الأدوار والوظائف قائما بين الجرائد والمجلات على حد سواء، وذلك بمثل التداخل القائم أيضا بين الصحافة الثقافية والصحافة السياسية، مما جعل تلك المجلات والجرائد مرآة للحركة الاجتماعية والإصلاحية والدينية في تلك الفترة.

يمكن القول، إذن، إن الفترة الاستعمارية التي عرفها المغرب، منذ بداية القرن العشرين، قد اتسمت بازدهار الصحافة الثقافية بشكل لافت، كما هو الحال في مجمل البلدان العربية الأخرى، وهو ما يعكسه عدد المجلات الثقافية الصادرة آنذاك. ويذكرنا المغرب، في ذلك، بما عرفه لبنان على مستوى ولادة المجلات الثقافية وتزايد النشاط الثقافي في بداية القرن العشرين، بحيث لم تكن الحروب عائقا أمام ظهور مجلات جديدة وتزايد دورها الإصلاحي والتنويري، إذ استطاعت تلك المجلات أن تملأ الساحة الثقافية بدورها الإصلاحي، وأيضا بدعواتها التوعوية وأسئلتها وإبداعها..؛ كما شكلت متنفسا هاما لشريحة المثقفين والمصلحين آنئذ، للتعبير عن آرائهم ونشر دعواتهم وتأجيج حملاتهم وخطاباتهم حول مناهضة الاستعمار، ومحاربة الأمية والجهل و الفهم السيء للدين.

انخراط المجلات الثقافية بالمغرب في الإصلاح

عندما بويع المولى عبد الحفيظ في بداية القرن العشرين، نشط الدستوريون ممن وضعوا ميثاقا قوميا ودستوريا، اشترطوا فيه على الملك عددا من الشروط التي تحفظ للأمة هيبتها وكرامتها وسيادتها، وتشكلوا في إطار جماعة من الشباب الناهض، حيث كانوا ينشطون في إطار جمعية سرية لتنوير أذهان المغاربة، ومقاومة الاحتلال الأجنبي، في حين كانت جماعة منهم، ومن غيرهم، تتحرك أقلامها بالكتابة في الصحف الحرة التي أنشئت بطنجة، وخصوصا (لسان المغرب)، وفي جريدة (الحاضرة) التي كانت لسان الوطنيين التونسيين.

وقد نقلت مجلة (المغرب الجديد) في أحد أعدادها فقرة من إحدى مقالات "لسان المغرب"، وما يهمنا نحن من هذه الفقرة هو التشديد على انخراط المجلات الثقافية في المغرب، منذ تلك الفترة، في التعريف بحركة الشباب الناهض ذي الاتجاه القومي المضبوط، والتحسيس بكل ما يدعو إلى الإصلاح، وإلى نشر المعارف وحرية العمل والفكر وإجبارية التعليم ومنح الأمة نعمة الدستور ومجلس النواب.

كما كان لحدث صدور الظهير البربري عام 1930 تأثيره الكبير في الاستعانة بالكتابة في المجلات الثقافية للتحسيس بأهمية مقاومة السياسة البربرية الجديدة التي تريد الحماية الفرنسية ترسيخها، بالتفريق بين البربر من ناحية وباقي المغاربة من ناحية ثانية، ومن بين من تعرض لهذا الحدث الخطير، ما كتبه أحد الوطنيين، وهو عمار عبد الجليل المعروف باسمه المستعار (أبو عزة الزموري)، في قوله، في مجلة أخرى تسمى (المغرب): "إننا بمقاومتنا للسياسة البربرية نريد تقريب

عناصر الشعب المغربي وتوحيده، نريد محاربة مبدأ التجزئة المكيافيلي الذي ينشره بتفنن ممثلو فرنسا الحربيون والدينيون، نريد أن نمنع خلق كتلتين ذاتي ثقافتين ومصالح متناقضة خلقا اصطناعيا، نريد أن نكفل حرية الضمير والتفكير للمواطنين جميعا بكيفية جدية" (2)، الأمر الذي مهد لظهور حركة التحرير الجديدة، فنشأت كتلة العمل الوطني التي قررت عام 1932 تأسيس مجلة (المغرب) باللغة الفرنسية بباريس، حيث تولى رئاسة تحريرها الأستاذ روبير جان لونكي؛ و"قد قامت هذه المجلة بنشر المقالات التي كان يكتبها الوطنيون المغاربة وغيرهم من الكتاب الفرنسيين، موضحة مغازي الحركة الوطنية والآمال التي تعلقها على الديمقراطية الفرنسية، ومكافحة، بجرأة وإقدام، السياسة المتبعة في البلاد، ومزودة قراءها بين الحين والآخر بالإحصاءات المدققة عن مظاهر الميز العنصري الذي يسود سير الحماية في مراكش، وكانت تعقد في كل مناسبة اجتماعا لبعض النواب والصحافيين الفرنسيين الذين سرعان ما أطلقوا على أنفسهم (أصدقاء المغرب)، وانضم إليهم بعض الأحرار الإسبانيين لتأييد كتلة الشمال في مطالبها ضدا على الاستعمار الاسباني.

وقد كان لصدور المجلة رد فعل معنوي في نفس الإقامة العامة التي حاولت منعها من الدخول للمغرب، ولكن أصدقاءها كانوا يتوسطون لدى الخارجية الفرنسية في رفع المنع (3). كذلك كان الشأن بالنسبة لجريدة (عمل الشعب) التي أصدرتها الكتلة باللغة الفرنسية بفاس. وفي اتفاق بين الوطنيين بكتلة الشمال، أصدر الأستاذ محمد داود مجلة (السلام)، كما أصدرت الكتلة جريدة (الحياة)، وذلك قبل أن توقفها سلطات الحماية فيما بعد.

وقد تمكنت الكتلة، بعد ذلك، من تعميق عملها بإصلاح شؤون البلاد، فاستطاع وفدها بباريس أن يؤسس لجنة رعاية من أصدقاء مجلة (المغرب) - وهي غير "مجلة المغرب" - وغيرهم من رجال اليسار الذين أظهروا عطفهم على برنامج الكتلة، وتقديرهم للروح التحريرية التي يحتوي عليها، وكان برنامج الإصلاحات المغربية يشتمل آنذاك على خمسة عشر فصلا.

بموازاة ذلك، كان اهتمام المشارقة بالمغرب والمغاربة، من خلال بعض المجلات الثقافية (وخصوصا مجلة "الرسالة" ومجلة "الثقافة")، اهتماما كبيرا ومؤثرا، عبر التعريف بالمغرب، وبأوضاعه وقضيته. ولم تتوقف هذه الحركة الثقافية المغاربية الداعية إلى الإصلاح عند هذا الحد، بل إن "حزب الاستقلال"، وارث الحزب الوطني والكتلة الوطنية، قد واصل اهتمامه بالنواحي الثقافية والاجتماعية، فأسس مجلة (رسالة المغرب) التي تعتبر في نظر الزعيم علال الفاسي، أرقى مجلة في الشمال الإفريقي باللغة العربية، وقد التف من حولها عديد من الأدباء والكتاب والشعراء الذين يعملون على تطوير الأدب المغربي وإحيائه[4].

يمكن القول، إذن، إن الفترة الاستعمارية التي عرفها المغرب، منذ بداية القرن العشرين، قد اتسمت بازدهار الصحافة الثقافية، من صحف ومجلات، وخصوصا في شمال المغرب. وكلها مجلات ثقافية توقفت، للأسف، عن الصدور لسبب أو لآخر، فظهرت مجلات ثقافية مغربية أخرى بعد الاستقلال، بتوجهات ثقافية وإيديولوجية مغايرة، حيث غدت الحاجة، آنئذ، إلى بعث ثقافة وطنية جديدة ومغايرة، منها مجلات ثقافية مستقلة، وأخرى تابعة لبعض الجهات الحكومية،

وخصوصا وزارة الثقافة، بإصدارها لمجلتيها: "الثقافة المغربية" و"المناهل"، ووزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ومجلتها "دعوة الحق"، ذات النزوع الثقافي الديني، كما ظهرت مجموعة من المجلات الثقافية الأخرى، التابعة للجامعات والكليات والجمعيات والمؤسسات السياسية والثقافية، ومن أهمها مجلة "آفاق"، لسان "اتحاد كتاب المغرب".

وبالنظر إلى المسار التطوري العام للمجلات الثقافية بالمغرب، يمكن التمييز بين فترتين أساسيتين تؤطران صيرورة تلك المجلات، بحسب الظروف والعوامل التاريخية والسياسية والثقافية التي واكبتها، وبحسب ما ارتبطت به من أدوار ووظائف وأهداف تاريخية وثقافية، وهما: مرحلة الاستعمار الأجنبي للمغرب ومرحلة الاستقلال، وإن كان هناك من يرى أن ثمة أكثر من مرحلتين، بحسب رؤية كل واحد إلى طبيعة هذا المسار التاريخي والتطوري الذي عرفته الحركة الثقافية بشكل عام، ومرت به المجلات الثقافية في المغرب بشكل خاص، كالتمييز بين: "مرحلة التأسيس والبدايات" و"مرحلة إعلان الحماية" و"مرحلة صدور الظهير البربري" و"مرحلة الاستقلال وما بعده". وباعتقادي، فإن وضع تحقيب زمني وتاريخي لسيرورة المجلات الثقافية في المغرب قد لا يستلزم، في حقيقة الأمر، إخضاعه لمختلف هذه المحطات التاريخية الكبرى التي عرفها المغرب الحديث منذ بداية القرن الماضي.

من ثم، كانت المرحلة الأولى للمجلات الثقافية المغربية، التي تبدأ بإعلان الحماية الفرنسية على المغرب، تغلب عليها النظرة الإصلاحية بشكل خاص ومهيمن، بعد أن أضحت الحماية أمرا واقعا، فعملت تلك المجلات على المساهمة في تحرير الإنسان

المغربي، مما كان يتخبط فيه من جهل وجمود وبدع وتخلف، والدعوة إلى تحريره من سطوة الاستعمار الأجنبي والحفاظ على هويته الثقافية العربية والإسلامية، وترسيخ الوعي والعمل الوطني والنظرة الإصلاحية في المجتمع، والإعلاء من شأن اللغة العربية أمام نزعات التغريب التي كان يسعى إلى فرضها وترسيخها، مع أن الاعتراف بـ "الآخر"، أي المستعمر الأجنبي، وبقوته وحضارته، كان قد بدا سائدا آنئذ، وكذا الإيمان بضرورة الاقتباس منه والانفتاح على منجزاته التقنية وسياسته في المجالات الحيوية، كالتعليم والإدارة، مع الإشارة أيضا إلى ما لاقته هذه السياسة الاستعمارية، في بدايتها، من معارضة من لدن البعض، وخصوصا فيما يتعلق بتعليم المرأة، لكن سرعان ما ستتلاشى تلك المعارضة فيما بعد، لاعتبارات مختلفة، مرتبطة خصوصا بالمشروع النهضوي الذي تبنته الحركة الإصلاحية إثر ذلك.

في هذا السياق، إذن، حميت الرغبة لدى بعض الشخصيات الوطنية في إنشاء منابر ثقافية وتأسيس جمعيات ثقافية، للتوعية والإرشاد، وللتعبير عن الفكر والإحساس والوجدان، وصيانة الذاكرة الوطنية، وإذكاء الوعي الوطني وشحذه، وفي تعميق نضالها أيضا من أجل المحافظة على المبادئ والثوابت الرئيسة للبلاد، كاللغة العربية والدين الإسلامي والثقافة الوطنية والمؤسسات السياسية والثقافية، عدا مساهمة تلك المجلات الثقافية في تطوير الثقافة والإبداع وإبراز مكانة الإسلام ووضع المرأة في المجتمع، ومن بين تلك المجلات، نذكر على الخصوص: "الاتحاد" (1927-1932)، و"الإصلاح" (1929-1930)، و"مجلة المغرب" (1932-1937)، ومجلة "السلام" (1933-1934)،

و"المغرب الجديد"(1935-1936)، و"الثقافة المغربية"(1941-1945)، و"رسالة المغرب" (1942-1952)، و"الأنوار" (1946-1956)، و"الأنيس"(1946-1956)، و"لسان الدين"(1946-1956)، و"المعرفة"(1947-1957)، و"الأثير"(1950-1954)، وغيرها.

ولم يكن دور الإصلاح في المجلات الثقافية المغربية، في بداية القرن الماضي، منحصرا في بعده السياسي والاجتماعي والتربوي والديني فقط، بل إن الدعوة إلى الإصلاح كثيرا ما كانت تتجاوز هذه المجالات الحيوية، لتتوقف عند الدعوة إلى الإصلاح في مجال "الأدب" أيضا، وخصوصا في مجال الشعر والنقد الأدبي، أي ذلك النوع من الأدب الذي كان سائدا في مرحلة سابقة من تطور المجتمع المغربي، حين كان الشعراء مصلحين وموجهين، ويساهمون في التغيير وفي أداء الرسالة والواجب في معركة التحرير بشكل عام، و"من خرج عن هذا المسير لم يكن شاعرا، لأن هذا الأخير- في نظرهم- هو الذي يمتلك إمكانية التغيير. وبحكم موقعه في مجمل البناء الثقافي للمجتمع فإنه يوجه الشعر نحو انتقاد المعوقات المعرقلة للتقدم في مجتمع تقليدي متخلف؛ وبذلك فهو يحذو حذو المصلح الموجه المنتقد لمظاهر الخلل في المجتمع"[5].

كذلك هو الحال بالنسبة لوظيفة النقد الأدبي، الذي قيل وكتب عنه الشيء الكثير في عدد من الدوريات الثقافية في تلك المرحلة، لاسيما في (مجلة المغرب) وجريدة (السعادة). فهذا ابن عباد (وهو اسم مستعار) يربط بين النقد والإصلاح في قوله: "ونحن إذا كتبنا فما أردنا إلا الإصلاح ما استطعنا وإنصاف الحق..."[6]. ويقول الكاتب نفسه في سياق آخر، متحدثا عن

النقد: "ولقد كان شائعا في كل أمة، وفائدته ظاهرة، ونتائجه في إصلاح ما اختل واعوج وتنوير البصائر وتثقيف النفوس أمر عن الناس معلوم"(7).

أما المرحلة الثانية، مرحلة الاستقلال، فتشكل، في نظري، قطيعة ثقافية ومعرفية نوعية مع المرحلة السابقة، على مستوى التوجهات الجديدة التي أبانت عنها المجلات الثقافية الصادرة في المغرب في هذه المرحلة، وخصوصا بعد ظهور مجلة "آفاق" التي يصدرها اتحاد كتاب المغرب، ومجلة "أقلام" في بداية الستينيات، وظهور جمعيات ومجلات ثقافية، احتضنت الإبداع والفكر المغربي والعربي والغربي (من خلال الترجمة خصوصا)، فكانت منبرا أساسيا مؤثرا، رهانها نشر ثقافة وفكر ديمقراطي حداثي، وثقافة وأدب طلائعي جديد، متوخية بذلك تجاوز الفكر القديم وبناء جبهة ثقافية تروم بلورة قيم ثقافية جديدة ومتحررة، من خلال مجلات ثقافية لعبت دورا فعالا ومؤثرا في الدفاع والنضال من أجل بلوغ ذلك كله، من قبيل المجلات التالية: "أنفاس" و"الثقافة الجديدة" و"الجسور" و"البديل؟" و"الزمان المغربي" وغيرها... كما عرفت تلك المرحلة ظهور أول مجلة نسائية في المغرب (عام 1965)، هي مجلة "شروق"، التي كانت تشرف عليها الأديبة المغربية خناثة بنونة، وهي مجلة نسائية دورية تعنى "بشؤون المرأة والفكر"، في تركيزها وانتصارها لقضايا المرأة وأخبارها وإنتاجها الأدبي والفكري في المغرب والمشرق، وذلك في وقت كان يُعتبر فيه دخول المرأة عالم الكتابة مغامرة وتمردا، فبالأحرى إقبالها على إصدار مجلة نسائية.

من هنا، تحول شكل النضال في تلك المجلات الثقافية جميعها

من مواجهة المستعمر وسياسته التغريبية إلى نضال ضد السلطة والفكر المتحجر والإيديولوجيا السائدة وطابعها التخييلي، كما ناضلت من أجل حرية التعبير والحق في الاختلاف، وفي امتلاك المعرفة ضد الرقابة والمنع؛ كذلك المنع الذي تعرضت له مجموعة من المجلات الثقافية فيما بعد، باستثناء "أقلام"، في حين توقفت مجلات ثقافية أخرى -من بينها "أقلام"- لأسباب مادية في معظم الأحيان، وتمكنت مجلات ثقافية قليلة جدا من الاستمرار والصمود وسط العواصف والعوائق والرقابة والتغيرات السياسية والثقافية، وخصوصا مجلتي "آفاق" و"دعوة الحق".

لذلك، ارتبطت النزعة الإصلاحية للمجلات الثقافية المغربية، في العمق، بمرحلة الاستعمار الأجنبي للمغرب، انطلاقا مما كان يفرضه السياق التاريخي آنذاك من ضرورة الارتهان إلى بناء ثقافة وطنية، داخل شرط تاريخي وثقافي محكوم بعوامل وإرغامات معاكسة، كانت سائدة في تلك المرحلة.

ذلك توجه، إذن، سيرغمنا نحن أيضا على حصر مجال البحث في دور المجلات الثقافية في عملية الإصلاح بمفهومه الواسع، وخصوصا من خلال تلك المجلات الثقافية التي ظهرت إبان المرحلة التاريخية الأولى، مع التعرض إلى ما قد يشبه النزعة الإصلاحية الجديدة في المجلات الثقافية المغربية التي ظهرت في المرحلة التاريخية الثانية، أي في مرحلة الاستقلال وما بعده.

صورة الإصلاح في المجلات الثقافية من خلال خطاب "العتبات"

لا يخلو خطاب «العتبات» بدوره من أهمية مرجعية، انطلاقا من كونه يعكس مدى ارتباط المجلات الثقافية بالمغرب، الصادرة خصوصا باللغة العربية، بالنزعة الإصلاحية المباشرة وبغاياتها أيضا، بما كان يستلزمه ذلك من حرص تلك المجلات على الانشداد إلى العمق الجغرافي للبلاد، والتشبث بالهوية الوطنية، الثقافية واللغوية والدينية، والوعي بالدور التنويري لتلك المجلات، وهو ما يمكن استنباطه، مثلا، من خلال عتبات بعض المجلات الثقافية الرائجة آنذاك، والصادرة جميعها على امتداد فترات مختلفة، كما يتمظهر ذلك في عناوينها، عاكسة بذلك الغاية من ظهورها: "الصباح"، "المغرب"، "مجلة المغرب"، "السلام"، "المغرب الجديد"، "الثقافة المغربية"، "رسالة المغرب"، "الأنوار"، "المصباح"، "النهار"، "نبراس الفكر"، "دعوة الحق"، "رسالة الأديب"، حيث يتضمن لفظ "الرسالة"، على سبيل المثال، الوارد في عناوين بعض هذه المجلات، فكرة عن الواجب المفروض القيام به تجاه الأمة [8]، كذلك هو الشأن بالنسبة للفظ "المغرب"، الوارد بكثافة في عناوين بعض تلك المجلات، والذي يعني: "التزاما جليا للمجلة إزاء المكان الذي تتكلم منه وتتحدث عنه"[9]. وذلك توجه مرجعي كان متحكما أيضا في عناوين بعض المجلات المشرقية الأولى، وما بعدها، كـ "المنار" و"الرسالة" و"البلاغ" و"المقتطف" و"الهلال" و"الدول العربية".

نفس الأمر حدث، وما يزال، مع عناوين بعض المجلات الثقافية المغربية التي ظهرت بعد الاستقلال، باللغة العربية

والفرنسية، انطلاقا أيضا مما كانت تراهن عليه، وما يزال بعضها إلى اليوم، من توجه ثقافي مغاير، ومما كانت تنشده من ثقافة وإبداع وفكر جديد وبديل، كما يتبين ذلك من أسماء المجلات الثقافية التالية: "آفاق"، "أنفاس"، "الثقافة الجديدة"، "الجسور"، "البديل؟"، "فضاءات مغربية"، "الثقافة المغربية"، "الزمان المغربي"، "الهدف"، "الإحياء" "المنعطف"، "نظرات حول الثقافة المغربية"، وغيرها؛ دون أن يعني ذلك أن ثمة قطيعة معرفية ومنهجية مع نوعية الأسئلة التي طرحتها المجلات الثقافية المغربية في المرحلة الأولى، بل إن ما حدث، في العمق، هو نوع من التحول والتطور الطبيعيين في نوعية تلك الأسئلة وفي طريقة صياغتها، في ضوء واقع جديد، وخصوصا بعد خروج المستعمر الأجنبي؛ نشير من بينها، بشكل خاص، إلى اهتمام تلك المجلات ببعض الأسئلة الجوهرية، من قبيل: "الهوية الثقافية" و"الهوية اللغوية" و"الهوية الدينية".

غير أن ذلك الارتباط بين المجلة وعنوانها والمكان (المغرب تحديدا) لا يعني أن هذه المجلات الثقافية كانت متقوقعة على نفسها، ويغلب عليها الطابع الشوفيني الضيق في حركتها الإصلاحية والتوعوية؛ بل إن معظمها كان له توجه منفتح على قضايا المشرق العربي وثقافته، حيث جعلت تلك المجلات من التفكير في الثقافة المغربية جزءا لا يتجزأ من التفكير أيضا في الثقافة العربية والأجنبية، كمجلة (المغرب الجديد) التي تعرف بنفسها بكونها: "مجلة علمية لخدمة الثقافة المغربية"، كما تصف نفسها، بأشكال مختلفة، في أغلفتها بكونها: "مرآة الحركة الفكرية في الشرق والغرب"، و"لسان المثقفين المغاربة ودليل الطلبة والشباب"، و"صلة الوصل بين القديم والحديث ومرآة الحركة الفكرية في الشرق والغرب".

وهو التوجه نفسه الذي خطته المجلات الثقافية التي ظهرت في المرحلة الثانية، بل وحرصت على تحقيقه ودعمه وترسيخه، حيث نجد في معظم افتتاحيات تلك المجلات ترحيبا دائما بالأقلام المغربية والعربية لدعمها والكتابة فيها والتواصل معها. وبالفعل، كان سؤال التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب، على سبيل المثال، أحد المواضيع التي انشغلت بها بعض تلك المجلات الثقافية، وخصوصا (مجلة المغرب)، من خلال بعض مقالاتها الداعية إلى تبني الحوار العربي وترسيخه.

ثاني ملمح يمكن من خلاله استخراج بعض الخصائص المجسدة للتوجه، أو للتوجهات العامة للمجلات الثقافية الصادرة في المغرب، منذ بداية القرن الماضي إلى اليوم، هو "خطاب الافتتاحيات"، سواء فيما يتصل بالنزعة الإصلاحية التي كانت الدعوة إليها سائدة بكثافة في المرحلة التاريخية الأولى، أو فيما يرتبط بالنزعة التجديدية للمجلات الثقافية التي ظهرت في المرحلة التاريخية الثانية.

فأمام تعدد المجلات الثقافية الصادرة في المغرب في المرحلتين معا، وكثرة الأعداد الصادرة منها، وتنوع موادها وأسئلتها وقضاياها الثقافية والفكرية والأدبية والفنية، يمكن رصد جوانب مما تكشف عنه بعض خطاباتها على مستوى سياستها الثقافية وأهدافها والغاية من إصدارها، انطلاقا من قراءات في إحدى عتباتها الأكثر تعبيرا عن ذلك التوجه العام؛ ويتعلق الأمر، هنا، بخطاب "الافتتاحيات"، وخصوصا تلك التي تضمنتها الأعداد الأولى للمجلات الثقافية المغربية، بالنظر إلى كون الافتتاحيات الأولى هي التي يرسم فيها عادة المشرفون على المجلات التوجه العام والهدف والخط التحريري الذي حددته هذه المجلة أو

تلك، من أجل مخاطبة جمهورها بمفهومه السائد آنذاك، أي كأمة ورأي عام في المرحلة الأولى، ويتعلق الأمر بأولئك القراء الذين تخاطبهم مجلة (المغرب الجديد)، على سبيل المثال، في افتتاحياتها الأولى، بـ "المواطنين" وبـ "الشعب المغربي"، وممن تصفهم أيضا بـ "المجتمع القارئ"، وقد أضحى يمتلك ناصية التجديد ويستشعر حتميته في المرحلة الثانية.

ويكفي أن نتناول، في هذا الإطار، بعض الخطابات الافتتاحية لعينة من المجلات الثقافية المغربية التي تنتمي إلى المرحلتين التاريخيتين معا، بحسب ظهورها وتسلسلها التطوري، وتبعا للشروط التاريخية المؤثرة والموجهة لغايات تلك المجلات الثقافية وأهدافها، بغية التمييز بين ذلك التوجه وتلك الأهداف فيها.

لقد حددت مجلة (المغرب الجديد) اختيارها في كونها "مجلة علمية" و"منبر حر لنشر سائر الأبحاث العلمية المهذبة، ويمكن لكافة المثقفين المغاربة أن يعتبروه لسانهم الناطق"[10]. وهي المجلة التي اهتمت، منذ صدورها، بالبعد المحلي وبالخصوصية المغربية أساسا، كما جاء في افتتاحية عددها الأول: " و«المغرب الجديد» الذي يقدم نفسه اليوم إلى المواطنين الأعزاء، لا أمنية له إلا أن يساهم بقسطه في خدمة العقلية المغربية، وتنويرها، وتهذيبها، وتوجيهها اتجاها صالحا مفيدا، وطريقة «المغرب الجديد» في خدمة العقلية المغربية هي تعريف الشعب المغربي بنفسه وغيره تعريفا كافيا شافيا"[11]. وذلك جانب تمثله مجلة (المغرب الجديد)، وطرحته بصيغ "حاملة للوعي الوطني عن مشروع التطور الثقافي ذاته، اعتمادا على ما بني من تصورات أخرى للخروج بالمغرب من دائرة الاستعمار إلى دائرة الاستقلال"[12]؛ وهو ما يمكن ملاحظته،

أيضا، من خلال توجيه المجلة لاستمارة تتضمن أسئلة للقراء للإجابة عنها في المجلة، وتدور كلها حول "المغرب"، في محاولة من هذه المجلة المساهمة في بناء أسس "المغرب الجديد"؛ مغرب المستقبل، وفي محاولة من "الشعب المغربي"، في الوقت نفسه، خوض "المغامرة في الحياة الجديدة"، كما جاء في افتتاحية العدد الأول من المجلة. وتتمحور تلك الأسئلة حول: (السلالة المغربية) و(الشعب المغربي) و(العقلية المغربية) و(الأدب المغربي) و(التاريخ المغربي) و(الشخصيات المغربية).

إذا كان الأمر على هذا النحو، من خلال الشعارات المباشرة والمتغيرة لهذه المجلة، فإن "التغيير والترقي والنهضة كانت هاجس شباب تلك الحقبة، وكانت مرادفا لشيء وحيد هو التقدم والحفاظ على الهوية الوطنية وإثبات الذات عن طريق الفكر، لذلك أتت المجلة لتكون صلة وصل بين العارفين والراغبين في المعرفة، سواء كانوا داخل المغرب أو خارجه، وهو ما يفسر العلاقات المتنوعة القائمة بين المجلة ومراكز البحث والمفكرين في أوربا وآسيا وأمريكا اللاتينية والمشرق العربي"[13].

كما أن مشروع مسودة "خطة المغرب الجديد"، الذي أعد للمجلة، يأخذ بعين الاعتبار هذا البعد العربي والإسلامي والإنساني في توجهها العام؛ وهو المشروع الذي نقح وصدر بعد ذلك في افتتاحية العدد الأول من هذه المجلة بعنوان "من العماء إلى النور"، تم التركيز فيها على تعريف "الشعب المغربي" بنفسه وغيره تعريفا كافيا شافيا، وكذا "التعريف بشعوب العروبة والإسلام أولا، وباقي شعوب البشرية ثانيا"، وخاصة "شعوب البحر الأبيض المتوسط، التي يكون الشعب المغربي حلقة مهمة من سلسلتها..."[14]. لكن رغم ذلك، ظلت مجلة

"المغرب الجديد" تنتصر في مجملها للأفق الثقافي العربي، وهو ما تظهره بعض المواد والمقالات التي احتوتها المجلة، منذ عددها الأول، كما هو الشأن في المقالة المعنونة بـ "الفوضى الفكرية في العالم العربي"، الموقعة بـ"إنسان"، جاء فيها القول بأن حياتنا الفكرية(...) هي الحياة الفكرية للعروبة بأسرها، فالعالم العربي اليوم من أقصاه إلى أقصاه يشعر شعورا واحدا، ويسير في اتجاه واحد، وكل حادث يصطدم به الفكر في قطر من أقطار لغة القرءان إلا ولمس الشعور بالاستعداد لاجتيازها في الأقطار الشقيقة"[15]، بالرغم مما نلمسه في موقف العرب، حسب المقالة، من "فوضى" كثيرة و"قدر غير ضئيل من الارتباك"؛ وهي المجلة التي "تمخضت فكرة صدورها عن مجموعة من العوامل بينها: حب الحياة والتفاؤل بها، والقيام بالمثل الأعلى والحرص على تصويره، والجزم بحاجة سد الفراغ الفكري بنتاج يقر الحقيقة ويبدد الشكوك، ويضع بين الناس صورة لحياتهم تخلف العماء. فهي لهذا ولغير هذا صريحة اللهجة، رزينة الخطوة، حرة المسرح، تفتح سجلها لتسطير سائر الوصفات التي ينتظر منها مقاومة الأدواء الفتاكة بحياتنا الذابلة المتمرضة، وهي في ذلك كله أمينة في تمثيل الحاجات التي تطلبها حياتنا الفكرية في موقفها الحاضر"[16].

نفس الأمر، نجده في المقالة الثانية المعنونة بـ"دعائم الإصلاح الديني"، والموقعة هي أيضا باسم مستعار، هو "حي بن يقظان" - والتي نحس بها تشكل امتدادا لافتتاحية المجلة وللمقالة الأولى، وكأنها مقالات كتبت من قبل نفس الشخص - بحيث نقرأ فيها دعوة صريحة إلى تبني "الإصلاح الديني"، من خلال دعوتها إلى "إحياء تعاليم الإسلام، خالصة من كل الشوائب، حرة من كل القيود"، ولن تقوم

دعائم "الإصلاح الديني" الجديد، في نظر صاحب المقال، ما لم يبن على دعائم ثلاثة: دعامة الإصلاح الاعتقادي، ودعامة الإصلاح الفكري، ودعامة الإصلاح الخلقي[17].

ولم يفت مجلة (المغرب الجديد)، منذ أعدادها الأولى، نشر مقالات أخرى في موضوع "الإصلاح" لكتاب أجانب، كمقالة "هانري لاهوست" التي عربها ابن الحسن من الفرنسية، والموزعة محاورها على أكثر من عدد من المجلة، وهي حول "الحركة الإصلاحية السنية المعروفة بالسلفية والصفات العامة لوجهتها الحاضرة". ومن بين ما يلفت النظر في هذه المقالة التحليلية كونها تتعرض بعمق لما تسميه "الحركة الإصلاحية"، من خلال البحث في مراكزها الرئيسة؛ المتمثلة بالخصوص في بعض المجلات المشرقية، كمجلة: "المنار" ومجلة "الزهراء" ومجلة "الفتح" و"مجلة الشبان المسلمين"...[18].

أما مجلة (الثقافة المغربية) فكانت دائما تؤكد، حتى من خلال عنوانها، على ترسيخ الهوية الوطنية للثقافة "المغربية"، بالدرجة الأولى – وهي التسمية التي سيتم تبنيها، في زمن لاحق، من قبل إحدى المجلات الثقافية المغربية التي لا زالت تصدرها وزارة الثقافة المغربية منذ بداية السبعينات إلى اليوم- كما كانت تنادي أيضا بـ "التجديد والمحافظة" في "انسجام وتعاضد"، وهما عنصران: "يتعاونان على تكوين فكر أمة وإعادة صرح مجدها وتدعيم أسس مسؤوليتها على أقوم طريق وأصلح منهج"، في سبيل "القضاء على كل ما يحول بين المغربي والنور" (من افتتاحية العدد الأول من المجلة)[19].

إلى جانب فئة المثقفين الوطنيين والمرأة المثقفة، تحملت فئة الطلبة أيضا مسؤولية إصدار مجلة ثقافية في ذلك الوقت،

ولو أن بعض مدراء تلك المجلات الثقافية السابقة كانوا شبانا هم أيضا (حيث أصدر محمد المكي الناصري مجلة "المغرب الجديد"، مثلا، وهو لم يبلغ بعد عامه الثلاثين).

وإذا كان ظهور المجلات الثقافية في المغرب، في البداية، قد ارتبط، في نظر جل المهتمين، بتأثير الصحافة الثقافية المشرقية، فإن مجلة (رسالة المغرب) (في العلم والأدب والاجتماع) قد ربطت الغرض من ظهورها، في افتتاحية عددها الأول، بالفراغ الحاصل في هذا المجال على الصعيد المحلي، بحيث جاءت هذه المجلة لـ "سد الفراغ الذي أحدثته الأزمة العالمية بفقدان الكتب والجرائد والمجلات الخارجية الشرقية العربية، إذ كانت والحق يقال تغذي جانبا عظيما من روحنا وتربي قسطا وافرا من تفكيرنا، سواء من الناحية العلمية أو الأدبية أو الاجتماعية الدينية والأخلاقية (...). فالحاجة إذا إلى مثل هذه الصحيفة جد شديدة"[20]؛ وإن كان ذلك لا يلغي كون هذه المجلة، من خلال ما سبق، تتوخى، في العمق، الاستجابة فقط لما كان يشعر به المغاربة من نقص على مستوى الاعتناء بوجه خاص بـ"الطابع المغربي" في الثقافة والأدب، وبـ"مسائل المغرب وما يمت إلى المغرب بصلة"؛ هي التي أرادها مديرها "أن تمثل تمثيلا صحيحا نهضة المغرب الفنية وحركته الفكرية، الأدبية والعلمية، وتربط بين حاضره وماضيه المجيد، وأن تكون خير ممثل للشباب الناهض في الخارج وأحسن مرشد وأصلح رفيق للشعب في الداخل..."، لتختم "لجنة تحرير" المجلة، الموقعة للافتتاحية، كلامها بالدعوة المباشرة إلى تبني الإصلاح، من خلال الانخراط في نفس الرهان الذي كان يشكل هاجسا محوريا آنذاك لأغلبية المجلات الثقافية: "وما نريد إلا الإصلاح ما استطعنا.." [21].

وكنموذج للمجلات الثقافية المغربية التي كانت موجهة لفئة الشباب آنذاك، نذكر مجلة (الأنيس)[22]، التي صدرت بإيعاز من جماعة من الطلبة، في اهتمامها بروح العمل المتواصل لدى الشباب ودعواتها إلى إيقاظ روح الهمة فيهم، حتى يقفوا على أسمى مراتب التفكير في المسائل التهذيبية البحتة.

(مجلة المغرب): نموذج حي لإشاعة ثقافة الإصلاح

إذا كان البعض يؤرخ لبداية ظهور المجلات الثقافية بالمغرب بظهور مجلة (سنان القلم لتنبيه وديع كرم) الصادرة عام 1907 بفاس، ومجلة (الصباح) الصادرة عام 1912 بطنجة؛ وهما مجلتان لم تلعبا، مع ذلك، دورا مؤثرا في تلك الفترة، فإن جل الباحثين يرون أن البداية الفعلية للمجلات الثقافية بالمغرب كانت مع ظهور (مجلة المغرب)، بالرباط عام 1932، والتي كان يديرها ويرأس تحريرها الكاتب الجزائري محمد الصالح ميسة، وهو ما حدا بنا إلى أن نختار هذه المجلة ونتمثلها كنموذج للمجلات الثقافية المغربية، الصادرة بالعربية في النصف الأول من القرن العشرين، انطلاقا من كون توجهها العام وأهدافها وموادها تستجيب، بشكل كبير، للموضوع المبحوث فيه؛ أي من حيث تبنيها ودفاعها المستميت عن النزعة الإصلاحية في البلاد، وعملها على أداء رسالتها من أجل تحرير الإنسان المغربي والحفاظ على هويته العربية والإسلامية، في وقت كانت فيه البلاد، بصفة عامة، ترزح تحت وطأة الاستعمار الأجنبي، كما كانت في أمس الحاجة إلى من يذكي رسالة الإصلاح فيها.

ذلك أمر يمكن تقديمه والاستدلال عليه من خلال قراءة موازية في أعداد هذه المجلة الشهرية الثلاثة والأربعين، التي تمكنا من الوصول إليها (وهي محفوظة بالمكتبة الوطنية بالرباط وبالخزانة الصبيحية بسلا)، والتنقيب في أعدادها، وفي أبوابها وموادها وخطاباتها ودعواتها الإصلاحية، في محاولة منا الوقوف عند أهدافها ونظرتها الإصلاحية، هي التي كانت تنعت أيضا بـ"المجلة الإصلاحية"، وكذا الكشف عن جوانب مما ساهمت به هذه المجلة الجامعة، على امتداد سنوات صدورها،

من أدوار توعوية وإصلاحية كبيرة، انطلاقا مما تكشف عنه من تنوع في اهتماماتها، وفي طبيعة مواضيعها ومقالاتها، الموزعة بين: الثقافة العامة والتاريخ والجغرافيا والفكر والسياسة والعلم والدين والاقتصاد واللغة والتربية والعلوم والتراث والأدب والنقد الأدبي والأخبار العامة...

وهو اختيار وزعم ليس وليد قراءة متأخرة زمنيا في هذه المجلة، بل إن قيمتها وأدوارها الطلائعية كانت محط تنويه بها حتى إبان صدورها؛ وذلك جانب توضحه خطابات وردود أفعال بعض فئات قراء هذه المجلة، من مختلف المراتب والتوجهات والبلدان، وخصوصا من خلال ذلك الركن، غير الثابت فيها، المسمى تارة بـ "عين الرضى"، وتارة أخرى بـ "غيرة إسلامية"، وثالثة بـ "غيرة عربية"؛ وهي خطابات يمكن استحضارها، في مثل هذه المناسبة، للتدليل على جانب من التوجه العام الذي كان لهذه المجلة، وأيضا لتبيان مدى تبنيها للنزعة الإصلاحية فيها، من خلال آراء ووجهات نظر "متلقين اعتباريين"، ينتمون إلى نفس المرحلة التاريخية، ويشهدون على تحولاتها البنيوية، عن قرب ودراية.

ومن بين هؤلاء القراء والمتلقين (نذكر بعضهم فقط بصفاتهم، كما أسبغتها عليهم هذه المجلة): "صاحب الجلالة الهمام الأفخم المولى عبد الحفيظ سلطان المغرب"، و"فخر الشرق الكاتب الشهير أمين الريحاني"، و"الأديب الفائق سيدي الراي بفاس"، و"فخر الإسلام صاحب السماحة المفتي الأكبر الحاج أفندي الحسيني"، و"جناب وزير فرنسا المفوض مدير التشريفات السلطانية ورئيس المعهد الإسلامي بباريس المحنك سيدي عبد القادر ابن غبريط"، و"جريدة الزمان الغراء

بتونس" التي اعتبرت "أن وجود هذه المجلة بهذه الكيفية لم يعرفه قبل شمال إفريقيا ولا عهد لنا به"[23].

وهو الدور نفسه الذي أشار إليه أحد كتاب هذه المجلة (الحسن الرامي)، في حديثه عنها، من خلال كلام عن دور الصحافة عموما في المجتمع آنذاك: "لقد كان المغرب من قبل فاقدا هذه الخصيصة، عادما هذه المزية، فلما أراد الله انتشاله من ظلام الغفلة والذهول وإنقاذه من مهواة الخمول أرشد فئة طيبة من بنيه وهداهم إلى طرق باب الإصلاح ولا باب للإصلاح سوى الصحافة"[24].

ومن بين تلك الرسائل العاكسة لأحد جوانب التوجه الإصلاحي لهذه المجلة، رسالة المولى عبد الحفيظ، ومن بين ماجاء فيها: "بعد الاطلاع على الكل واستيعابه ألفيناه أعظم وأحسن مشروع جادت به قريحتكم الوقادة وأدركنا غايتنا من حماية اللغة العربية ونشرها بين أهلها وإبراز نتائج أفكار النجباء من نوابغ المغرب الأقصى"[25].

كما كانت الدعوة إلى الإصلاح من بين انشغالات بعض افتتاحيات هذه المجلة، ويكفي أن نشير هنا إلى افتتاحية العدد الخامس (نونبر- دجنبر 1932) التي جاءت عبارة عن قصيدة للشاعر المغربي محمد بن إبراهيم، عنونها بـ "إن أريد الإصلاح ما استطعت"، وهي قصيدة تدعو إلى رفع الهمم وشحذ العزائم والدعوة إلى العلم.

ومن بين المجالات الثقافية التي كان لها حضور لافت أيضا في المنظور الإصلاحي والتوجيهي والتنويري لهذه المجلة، طيلة مدة صدورها، نشير إلى "إصلاح التعليم"؛ ويعتبر هذا الجانب من بين أهم محاور الإصلاح التي انشغلت بها (مجلة

المغرب) منذ ظهورها، حيث استشعرت المجلة، منذ البداية، مدى حاجة المجتمع، في ذلك الوقت، إلى التعليم والتربية والتوعية الاجتماعية: "فلا بدع إذا كانت مسألة التعليم رأس المسائل وأهم المشاكل التي يجب أن تعتني بها الأمة والحكومة في حين واحد، وأن تشتغل بها الأفكار ويجعلها الناس موضوع أحاديثهم..."[26].

من ثم، كثرت دعوات هذه المجلة، في عدد من المناسبات، إلى إصلاح التعليم، والمطالبة بأن يكون له نظام وبرامج وتراتيب لازمة. كما عملت المجلة على نشر آراء الكتاب والمصلحين في مسألة التعليم وطرق إصلاحه وتنظيمه، ونشر جملة من المقالات والأبحاث في هذا "الموضوع الخطير"، كما تسميه المجلة، عدا عملها على نشر برامج لإصلاح التعليم جرى بها العمل في أقطار مختلفة، و"وقع تطبيقها في غير المغرب ببعض البلاد التي تشابه المغرب من وجوه عديدة ولا تكاد تختلف عنه في شيء اللهم إلا اختلاف ميول رجال الإدارات وتقارير أساليب في الإصلاح..."[27].

بموازاة ذلك، دأبت (مجلة المغرب)، في مجموعة من المناسبات والمقالات والافتتاحيات، على الدفاع عن اللغة العربية، والدعوة إلى العناية بها والتفرغ للقيام بالمحافظة عليها، كما جاء في دراسة مطولة بتوقيع (م) -ولاشك في أنه هو مدير المجلة نفسه (أي السيد ميسة)- حول "حياة اللغة العربية"[28].

ويأتي اهتمام هذه المجلة، داخل هذا المجال نفسه، بفئة معينة من المجتمع، هي فئة "البنات"، وخصوصا تلك الشريحة من الفتيات اللواتي كن يعانين من مجموعة من الإرغامات التاريخية والاجتماعية التي كانت تكبل إقبالهن على التعلم،

وعلى المساهمة في حركية المجتمع ونموه، وذلك منذ العدد الثاني من المجلة، في مقالة رئيسة بعنوان "تعليم البنات" (بقلم ع)، من بين ما جاء فيها قول كاتبها بأنه "لما أسست الحماية وفاقت الأيالة من سباتها قام المصلحون يدعون إلى الاهتمام بتعليم النساء خدمة للوطن وقياما بالواجب الديني وكان إذ ذاك لازالت ببعض المدن دور تسمى بدار الفقيهة يعلم فيها القرآن وأخرى تسمى بدار المعلمة يتعلم فيها البنات صناعة الطرز والخياطة وطرز الجلد وطرز الذهب وغيرها من الصناعات اليدوية اللطيفة"[29]؛ وهي المقالة التي اعتبرتها المجلة، في عددها الرابع، بمثابة "بيان"، تبنته فيما بعد. ومن بين ما جاء في تلك المقالة الإشارة إلى اقتراحين جديرين بالاهتمام -على حد تعبير الكاتب- "نستلفت إليهما أنظار أولي الأمر رجاء أن يعطوا المسألة حقها من الاعتناء، ويتعلق الأمر هنا بالدعوة إلى إنشاء مدرسة لتعليم المعلمات وتعليم قسم من البنات التوليد والتمريض وصناعة طب الأسنان"[30].

بعد ذلك، تضاعفت المقالات والافتتاحيات التي أوردتها المجلة لمقاربة هذا الموضوع نفسه، في المغرب وخارجه، بما في ذلك التعرض لمطالب النساء أنفسهن. وذلك جانب تعكسه مجموعة من المقالات المنشورة في العدد الرابع من المجلة، في سنتها الرابعة، في شأن "إصلاح حال المرأة وتعليم البنات"، والتي كانت المجلة تتوخى من خلالها، كما جاء في افتتاحية هذا العدد: "إلفات الأنظار إلى هذه المسألة الخطيرة، ففي العدد الثاني كنا نشرنا في بعض نواحيها بيانا لازلنا عليه إلى الآن رغم مضي أعوام(...) ولهذا رأينا من المناسب أن نخصص لها قسطا وافرا من هذا العدد تثبيتا لفكرة الإصلاح في الأذهان

وتعميما، وسيرى القراء أننا لا ندعو إلى ثورة أو إلى قلب أوضاع خلاف ما أذاعه غير واحد... وإنما ندعو إلى شيء معقول وإنما نندب إلى أمر يوافق مطالب الدين والدنيا معا وليس فيه على أحد من بأس "[31]، ومن أهمها ما كتبه العلامة محمد الحجوي في نفس العدد، حول "تعليم البنات"، هذا الذي له، كما تقدمه هذه المجلة لقرائها، مساهمات كبيرة في ميدان الإصلاح سيذكرها له التاريخ بكل امتنان، وهو في مقدمة المفكرين الذين دعوا منذ نشر الحماية إلى الاهتمام بتعليم النساء وتحريرهن من بعض العوائد الضارة بهن وبالمجتمع، وهو أيضا من قال عنه السيد عبد السلام الفاسي في حفل تكريمه بأنه "أبدى فكرة تجديد الفقه الذي وصل إلى حد الهرم أو العدم وأرشد إلى ذلك بإصلاح التعليم ونبذ كتب المتأخرين (...)، وإبعادها عن التعليم وتأليف كتب مدرسية للتعليم الابتدائي والثانوي تكون على نسق المتقدمين فقها مستقلا..."[32].

لقد كان الانتقاد، في معظم الأحيان، سبيل هذه المجلة في دعواتها الإصلاحية المختلفة في مجال إصلاح التعليم ومحاربة البدع وإصلاح العدلية الأهلية، شعورا منها، كذلك، بـ "أن الانتقاد لا يخلو من فوائد، وهو أول شيء يعرض للأمم عند نهضتها لإظهار ما يكون في مؤسساتها من الخلل وإبانة مواطن الضعف منها وإلفات الأنظار إلى ذلك قصد التهيئة لوسائل التعديل ووجوه الإصلاح، على أن تتبع أعداد المجلة يظهر جليا للعيان أنها (وإن كان مضمارها التهذيب قبل كل شيء) قامت بالأمرين معا، فما من عدد منها إلا ويشتمل على فكرة إصلاحية أو اقتراح تعتقد أنه نافع أو دعوة إلى عمل تظن فيها الفائدة للجميع..."[33].

ولم يتوقف دور هذه المجلة عند حدود تبني الإصلاح والدعوة إليه، بل كان الأمر يتعدى ذلك إلى اقتراح بعض المشاريع الإصلاحية، سواء على الحكومة، أو على المؤسسات، أو على الأشخاص، في ذلك الركن المسمى: "المشروعات الإصلاحية"، من ذلك مثلا، دعوة المجلة لمدير "مدرسة محمد جسوس"، الحاج أحمد بلا فريج، إثر تسميتها بالرباط، على أن ينظر فيما إذا كان يتيسر أن يؤسس قسما معدا للثقافة العامة خارج برنامجه النظامي الذي يجريه في فاتحة السنة المقبلة[34]. عدا ذلك، كانت المجلة تقوم، من حين لآخر، بالتنويه بما تحقق من مشاريع إصلاحية في البلاد، على امتداد أزمنة وأحداث واكبتها المجلة، ومن بين ذلك أيضا ما جاء في حديث المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان، في عرضه للمنجزات التي تحققت في عهد سلطان البلاد، بدءا بإصلاح التعليم أولا، حيث "اهتم صاحب الجلالة والعرش بالتعليم، وعني به عناية المحنك العليم، فكان من النتائج جريان يد الإصلاح في جامع القرويين العامر(...) ولم يلبث هذا الإصلاح أن بدا أثره الجليل بدو يواقيت التاج والإكليل..."[35].

من بين أولى المجلات الثقافية التي صدرت بالمغرب، بعيد الاستقلال، مجلة (دعوة الحق) (يوليو1957)، وهي مجلة تقدم نفسها، لحظة تأسيسها، بكونها "مجلة شهرية تعنى بالبحوث الدينية وشؤون الثقافة والفكر"، إذ ارتبطت منذ تأسيسها من قبل الملك الراحل محمد الخامس بالنزعة الإصلاحية في المجال الديني أساسا، بعد إعلان استقلال البلاد عام 1956 وخروج المستعمر الأجنبي، حيث "أصبح من أكبر الواجبات المنوطة بنا في فجر نهضتنا الشاملة أن نضاعف عنايتنا بالناحية الروحية والفكرية ونعمل على تحرير العقول من قيود بعض التقاليد والأوهام التي لا تتلاءم والمفهوم الصحيح لتعاليم ديننا الحنيف(...). ولذلك، سرنا أن تتولى وزارة الأوقاف إصدار مجلة جامعة تعنى بصفة خاصة بناحية الإصلاح الديني، كما تعالج مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية..."، كما جاء في الكلمة الموجهة من الملك محمد الخامس إلى المجلة.

وهو التوجه نفسه الذي كشفت عنه افتتاحية العدد الأول من مجلة (دعوة الحق)، رغبة من مؤسسيها في "أن توفق في ضم أصوات الدعاة والمصلحين والعلماء والشباب المثقف من أبناء هذا القطر السعيد، بعضها إلى بعض، لتجهر جميعها بهذه الدعوة..."(36).

وهي الرغبة ذاتها التي عبر عنها عبد الوهاب بنمنصور في خاتمة دراسته المعنونة بـ "الدعوة إلى الحق"، المنشورة ضمن العدد الأول، في قوله: "ولا ريب أن مجلة (دعوة الحق) ستسد كلمة طالما قضت مضاجع المهتمين بمصير الإسلام في المغرب العربي والراغبين في الدفاع عنه والمنافحة(...)، وعسى

أن يلتف حولها العلماء والأدباء المشبعون بحب الملة الحنيفة السمحاء حتى تستطيع أن تؤدي رسالتها على الوجه الأكمل"[37]. وذلك توجه للمجلة يعكس، في العمق، استمرارية الإصلاح بنفس المفهوم الذي كان سائدا تقريبا قبل الاستقلال، أي قبل أن تتطور هذه المجلة فيما بعد، وتطور، بموازاة ذلك، ملفاتها ومواضيعها ونظرتها الدينية إلى المجتمع، وأيضا قبل أن تظهر بالمغرب، بعد ذلك بكثير، مجلة ثقافية دينية أخرى بعنوان (قضايا إسلامية معاصرة)، وهي ذات توجه عصري في طبيعة الرؤية إلى الشأن الديني في العالم الإسلامي، وفي طريقة معالجتها للقضايا الإسلامية المعاصرة، وفي تكريسها أيضا للخطاب التنويري، ومساهمتها التحديثية في الفكر الديني بشكل عام.

ومع بداية الستينيات، انشغل المثقف المغربي بطرح بعض التساؤلات المصيرية الجديدة، من قبيل: من نحن؟ وأين نحن؟ وإلى أين نسير؟، كما كان يسعى إلى "إيجاد أجوبة لها"[38]؛ فجاءت مجلة (البينة) لتنهض بهذه الرسالة التي ترمي إلى تعريفنا بأنفسنا، وبمركزنا في الوجود، وتذكيرنا بقوانا المادية والروحية، وما نستطيع أن نقوم به من خير لأنفسنا وللناس..."[39]. ويضيف علال الفاسي، مدير المجلة في افتتاحيته لها، محددا وظيفتها وتوجهها العام: "فقد أسست لتكون لسان الحق ومنبر الصدق وأداة الاتصال بين الذين يعنيهم أمر الإسلام وأمر الفكر الإسلامي عن طريق البعث الاجتماعي والثقافة المتحررة"[40].

وبحثا عن تأسيس ثقافة مغربية جديدة موصولة بأسئلة المجتمع والتغيير، ظهرت، مباشرة بعد ذلك، مجلة (آفاق)[41]، فارتبطت، في بداية صدورها، بـ "اتحاد كتاب المغرب العربي"،

قبل أن تتحول إلى "ناطق رسمي بلسان اتحاد كتاب المغرب" فقط، متوخية بذلك "التعبير الصادق عن الفكر بالمغرب العربي"، والمساهمة "في كل ميادين الرقي الإنساني"، بحيث رفعت المجلة في بدايتها شعار "إلى الأمام"، كما جاء في افتتاحياتها الأولى: "ليس أجدر بهذا الشعار «إلى الأمام» من مجلة «آفاق»، فاسمها يشير إلى الأمام في غير تحديد ولا توقف"[42].

وهذا المضي إلى الأمام وإلى أفق ثقافي أكثر رحابة، لم يكن من الممكن تحقيقه، لو لم تجعل المجلة من بين أهدافها محاربة كل فكر هش عقيم وجامد ومنغلق، ولو لم تفتح "آفاق" بابها لكل المبادرات الجادة والهادفة، ولكل الآراء المختلفة، وفي هذا الإطار يقول محمد عزيز الحبابي (أول رئيس لاتحاد كتاب المغرب العربي)، في كلمته الافتتاحية للعدد الأول من المجلة: "فلتكن آفاق ملتقى البوادر وبؤرة احتكاك التجارب، فيها تذوب وتساغ الآراء والإرادات (...). إنها معركة ضد كل إقطاعية فكرية، ضد كل جموح أو جمود تفرضه الطائفيات..."[43]. فهي مجلة إذ تحارب التحجر والانغلاقية، فإنها تتبنى "مبدأ الانفتاح على الثقافات العالمية (...) هذا هو الطريق السليم لمغربة الثقافة"[44].

ويضيف الحبابي، محددا بذلك التوجه العام للمجلة في مسايرتها لتاريخ الإنسانية وانفتاحها على عالم الأمس، وعالم اليوم وعالم الغد: "أردناها مجلة آفاقية: سوقا للفكر العربي، ومهرجانا للثقافة الإنسانية، وملتقى لكل حماة رسالة الكلمات في دنيا العرب، وفي عالم حضارة القرن العشرية التي تشمل دنيا العروبة وتفعل فيها"[45].

كما لعبت مجلة (أقلام) دورا طلائعيا، منذ صدور العدد

الأول منها في مارس 1964، وعلى امتداد واحد وستين عددا منها قبل أن تتوقف، هي التي بررت ظهورها آنذاك "لتعبر عن إحساس عميق يشعر به جل المثقفين، وهو أن الفكر متخلف عن العمل، وأنه لا يتوغل في صميم المجتمع وفي أعماق الإنسان المغربي..."[46]، كما كانت تجسد في بداياتها "دعوة لجميع الأقلام الصادقة لتسهم في بناء ثقافة أصيلة، وهي تتعهد بأنها ستقدر كل محاولة فكرية جادة، وتأمل أن تتيح الفرص لجميع المواهب الناشئة لتتلمس طريقها، ولتقوم بأداء رسالتها ولتفسح المجال الأوسع للذين ضاقوا بصمتهم الطويل"[47].

من ثم، كان رهان هذه المجلة التاريخي يتمثل في ترسيخ تقاليد ثقافية جديدة، متممة لتلك النزعة الإصلاحية والتحررية التي كانت سائدة إبان الاستعمار الأجنبي للمغرب.

كما حددت مجلة (الثقافة المغربية) الصادرة عام 1970، توجهها الثقافي العام في كلمة محمد الفاسي -وزير الدولة آنذاك المكلف بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي- في "ملء الفراغ الذي تعرفه الساحة على مستوى مجلات عربية متخصصة في كل ما يتعلق ببلاد المغرب الإسلامي قديما وحديثا"[48]، وفي "إحياء تراثنا والتعرف على خصائص حضارتنا. وستهتم هذه المجلة بكل ما يرجع لتاريخ المغرب العربي وإسبانيا وصقلية الإسلاميتين وجغرافيتها وآدابها ولغاتها وعوائدها وفنونها الشعبية في الماضي والحاضر..."[49].

وقد طرأت على هذه المجلة، بعد أزيد من ثلاثة عقود من الصدور، سلسلة من التحولات، سواء في توجهها العام أو في شكلها وموضوعاتها. كما أنه بظهور شقيقتها مجلة (المناهل) عام 1974، تغير دور مجلة (الثقافة المغربية) الذي سبق أن

أعلنت عنه، فأصبحت مجلة (المناهل) تضطلع بهذا الدور، لكن بمنظور جديد وحديث، منفتح على الموروث الثقافي والثقافة الحديثة على حد سواء.

بعد ذلك، دخلت الثقافة المغربية في منعطف جديد، إبان سنوات السبعينيات من القرن الماضي، بما عرفته المرحلة من تحولات سياسية وإيديولوجية، ومن أحداث ونضالات اجتماعية هامة، ساهمت جميعها في بلورة التجربة السياسية والثقافية والاجتماعية في البلاد، فظهرت مجلات ثقافية جديدة مؤثرة، سرعان ما تحول مفهوم الإصلاح لديها، في هذه الفترة وبعدها، من "ثقافة الإصلاح" إلى "إصلاح الثقافة"، وأصبح الاهتمام مركزا على النهوض بالحقول المعرفية والفكرية والأدبية والفنية، وكذا العمل على بعث ثقافة جديدة تستجيب لطموحات الجماهير وتحدياتها ونضالاتها وصراعاتها ورغائبها في التغيير والتنوير والحداثة والتغيير والسجال الثقافي والنقد وخلق بديل ثقافي ومجتمعي، فازداد التراكم الفكري والأدبي والإبداعي، في تلك الفترة، كما ازداد الوعي بأهمية الثقافة في المجتمع، بمختلف فروعها، بما فيها الثقافة الشعبية.

ومن بين أهم تلك المجلات الثقافية التي كان لها صدى واسع، في تلك الفترة، مجلة (الثقافة الجديدة)، بما يعكسه اسمها من رغبة في التغيير والخلق: "تغيير الإنسان المغربي العربي وخلقه من جديد، ليدخل حدود إنسانيته المغتالة"(50)، وخلق "ثقافة جديدة" من حيث نوعيتها ورؤيتها. وقد تبلور هذا الشعور لدى هذه المجلة انطلاقا من الإحساس الذي أصبح ينتاب المثقف المغربي في تلك الفترة، وهو مقتنع بأن ثمة أزمة حقيقية تعيشها الثقافة المغربية فكرا وإبداعا، والتي هي جزء من الأزمة الثقافية التي يعرفها العالم العربي"(51).

وتركز هذه المجلة، من خلال ذلك، على ما تسميه «الخاصية القومية العربية»، حيث كان هدفها يتمثل في "المساهمة في بعض جوانب الثقافة العربية، تعريفا ومناقشة، في حدود الإمكان والضرورة، وما نقوله في الجانب العربي نعممه على الصعيد العالمي"(52).

إلى جانب مراهنة بعض المجلات الثقافية المغربية الجديدة على خلق "ثقافة جديدة"، ظهرت مجلة ثقافية مغربية أخرى، اختارت لنفسها، هي أيضا، تسمية دالة (الجسور)؛ وتصف نفسها بكونها "مجلة الفكر الديموقراطي الجديد"، وهي بذلك إنما تطمح، حسب ما جاء في كلمة العدد الأول منها، إلى أن تسهم في نشر وتعميم هذا الفكر، وذلك بتعميق الاستيعاب العلمي لتراكمات الحركة التاريخية، بالمغرب وتجارب الشعوب المناهضة للاستغلال والاستعمار.. وفي أن تكون بوتقة لفكر ديموقراطي جديد، أساسه الحوار والنقاش والصراع الإيجابي إلى جانب جدلية المعرفة العلمية وصيرورة الواقع الحي الملموس"(53).

وشبيه بهذا الدور، تمثله إحدى المجلات الثقافية المغربية التي كانت ناطقة باسم المشروع الثقافي لحزب سياسي مغربي، هو "حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية"، بحيث ساهم هذا الحزب، من جهته، في إثراء الفضاء الثقافي المغربي، بإصداره لمجلته الثقافية باسم "المشروع" -وقد توقفت هي أيضا للأسف-، وذلك "من أجل توطيد الفكر الاشتراكي"، كما جاء في الشعار الفرعي للمجلة، وأيضا بغية نشد التغيير والتحرر وبناء ثقافة المستقبل، بعد أن بدا أن الواقع الثقافي المغربي آنذاك قد بدأ يبشر بمشروع ثقافة "وطنية" و"تقدمية" و"شعبية"،

وتأتي هذه المجلة كاستجابة لنداء هذا المشروع. يتعلق الأمر إذن، يضيف كاتب افتتاحية العدد الأول الأستاذ عبد الرحيم بوعبيد، بـ "مشروع" يريد أن يحمل مشروع ثقافة المستقبل في بلادنا. وثقافة المستقبل ستكون بالضرورة وطنية (...). وتطمح هذه المجلة إلى أن تكون منبرا لجميع هؤلاء المثقفين الملتزمين بقضية التحرر والتقدم، دونما اعتبار لانتمائهم الحزبي أو عدم انتمائهم[54].

وبعد مضي أزيد من أربعة عقود على صدور العدد الأول من مجلة (أقلام)، ظهرت مجلة ثقافية جديدة باسم (فكر ونقد)، عام 1997، بإشراف أسماء كان لها حضور مركزي أيضا في المجلة الأولى، بهذا الشكل أو ذاك، لكن مع اختلاف في هوية هاتين المجلتين وفي أهدافهما، تبعا لاختلاف السياق التاريخي والثقافي المتحكم في ظهورهما، والمؤطر لزمن صدورهما أيضا، حيث أصبح المطلوب اليوم، حسب افتتاحية العدد الأول من مجلة (فكر ونقد)، هو التوسل "بالنقد"، فـ "الكلمة الآن هي لـ "النقد..!"(..)، وذلك دليل على أن الأمر يتعلق بمرحلة انتقالية، مرحلة يتم فيها تصفية الحساب مع القديم لفتح المجال أمام الجديد. إنها المرحلة التي يكون فيها طرح السؤال في مثل صعوبة تقديم الجواب، ومن هنا بروز "النقد" كمشروع وحيد ممكن... لذلك، فقد تمثل طموح هذه المجلة في "المساهمة في نشر وعي صحيح بطبيعة هذه المرحلة التي يجتازها الفكر المعاصر"[55].

سنة بعد ذلك، ظهرت مجلة ثقافية أخرى باسم (نوافذ)، فراهنت على ما يشبه -إلى حد ما- الدور الذي راهنت عليه مجلة (فكر ونقد)، وخصوصا من حيث كونها "تطمح إلى

تأسيس فضاء لتبلور الفكر النقدي المستقل المنفتح على مختلف التغيرات التي يشهدها عالم اليوم المطبوع بهيمنة الفكر الواحد وشمولية القيم البضاعية[56].

وفي هذه الفترة، وما بعدها، ظهرت أقلام وأسماء جديدة، وصدرت مجلات ثقافية وفنية في مجموعة من المدن المغربية، أضحت تعنى، بشكل متخصص في معظم الحالات، بحقول وقضايا: الفكر والفلسفة وعلم الاجتماع والاقتصاد والتاريخ والدين وعلم الاجتماع والدراسات النفسية وعلم التربية والمنطق والأدب الإسلامي واللسانيات والسيميائيات والسينما والنقد الأدبي والشعر والقصة والتشكيل، بحيث قد لا يسعنا المجال، هنا، لحصر وذكر تلك المجلات الثقافية المغربية جميعها -وكذا الحديث عن بعض الجمعيات الثقافية التي تأسست في هذه الفترة- والوقوف عند توجهاتها العامة، وأدوارها المختلفة في ترسيخ ثقافة وفكر وأدب جديد ومغاير، وكذا إبراز مساهماتها المختلفة في بناء ذلك وتطويره، وتمثل أسئلته المتحولة. ويكفي أن نذكر، على سبيل المثال، واحدة من أهم هذه المجلات الثقافية المغربية التي حافظت على انتظامها في الصدور، وعلى توجهها الثقافي والفكري والنظري والأدبي الحداثي؛ يتعلق الأمر، هنا، بمجلة "علامات" لمديرها سعيد بنكراد، بملفاتها ومحاورها الجديدة، وبترجماتها ودراساتها المضيئة لأسئلة الأدب والسرد والصورة والنقد والفكر والمنهج...

كما تميزت المرحلة التالية أيضا بانفراد بعض مجالات التعبير الأدبي، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، بمجلاتها المتخصصة، فظهرت لأول مرة بالمغرب مجلة للشعر، يصدرها "بيت الشعر في المغرب" باسم (البيت)، كما ظهرت مجلة للقصة، تصدرها

"مجموعة البحث في القصة القصيرة بالمغرب"، تحت اسم (قاف صاد). وقبل هاتين المجلتين، كان محمد برادة ومحمد العربي المساري وعبد الجبار السحيمي قد أصدورا، عام 1964، مجلة تحت اسم (القصة والمسرح)، لكنها لم تعمر طويلا.

وإذا كان من الصعوبة حصر عدد المجلات الثقافية التي تصدر اليوم في المغرب، بإيقاعات مختلفة وباهتمامات متنوعة، وإن كانت غير مؤثرة عربيا ودوليا بالشكل المرتجى، من زاوية أنها لا توزع خارج البلاد، فإن المشهد الثقافي في المغرب لازال يشهد حيوية لافتة على مستوى ظهور مزيد من الدوريات الثقافية والأدبية الجديدة، تغني حركيته، وتعكس ثراء إسهامه الفكري والأدبي، وإن بمجهودات وإمكانيات فردية في معظمها. ففي السنتين الأخيرتين فقط، ظهرت في الساحة مجلة ثقافية جديدة، اختارت لنفسها اسم «فكر»، يرأس تحريرها الباحث اللغوي محمد الدرويش؛ وتعنى بمجالات البحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية...

دور الجمعيات الثقافية بالمغرب في دعم الإصلاح وإشاعته

إن الحديث عن دور الجمعيات الثقافية في دعم عملية الإصلاح وإشاعته، هو بمثل حديثنا السابق عن دور المجلات الثقافية في هذا المجال نفسه. من ثم، سوف نركز حديثنا، بهذا الخصوص، على تلك الجمعيات الثقافية والنوادي والأندية الثقافية التي ظهرت خلال المرحلة التاريخية الأولى، أي منذ إعلان الحماية إلى إعلان الاستقلال، حيث ارتبط عملها، في بداياته، بالنزعة الإصلاحية خصوصا، في بعدها الثقافي والاجتماعي والسياسي والديني، شأنها في ذلك شأن الصحافة الثقافية، إذ كان العقد الثاني من القرن الماضي حاسما في ظهور عدد من الجمعيات الثقافية، وتفتق دورها الثقافي والتوعوي في المناداة بالإصلاح ومواجهة السياسة الاستعمارية (الفرنسية والإسبانية على حد سواء)، يشرف عليها عدد من المثقفين الوطنيين المتحمسين للإصلاح، حيث ظهرت في أوائل العشرينيات، في بعض المدن المغربية، العديد من التجمعات والتكتلات الداعية للإصلاح والتجديد.

وقد كان لفاس، من خلال جامعة القرويين، دور بارز في التنوير، وفي بعث الروح السلفية والقومية في نفوس الطلبة، فقمنا، يقول علال الفاسي "بعدة حركات لإصلاح التعليم الجامعي(...) ثم أسست مع ثلة من إخواني مجلة شهرية سرية باسم (أم البنين) كانت تصدر بانتظام في أربعين صفحة، وتكرر على (البولي كوبي) ثم توزع على هذه الجماعات السرية بفاس والرباط ومراكش وطنجة وتطوان، وفي الوقت نفسه كنا

على اتصال بثلة من إخواننا الذين ذهبوا لإتمام دراستهم بفرنسا والشرق، حيث أخذوا يعملون في جو أصفى وأكثر حرية من جونا، وقد استطاعوا أن يؤسسوا بباريس: «جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا» و «جمعية الثقافة العربية»، ويتصلوا في العطلة الصيفية بشخصيات من بينها عطوفة الأمير شكيب أرسلان، كما استطاع أصدقاؤنا في القاهرة أن يشاركوا في تأسيس «جمعية الشباب المسلمين» و«جمعية الهداية الإسلامية». وحاولنا نحن في الداخل أن نؤسس «جمعية أحباء الطلبة» وأن نعمل لمساعدة فلسطين، فكانت السلطة دائما تجيبنا بالرفض، وتحول بيننا وبين إنجاز ما نريد، وعلى الرغم من ذلك فقد والينا العمل لإنشاء عدة مدارس إصلاحية في مراكز مختلفة"[57].

كذلك لابد من الإشارة، في هذا الإطار، إلى إحدى الجمعيات الثقافية التي ظهرت بشمال المغرب، وخصوصا في تطوان عام 1932، عندما أسس الأستاذ عبد الخالق الطريس "جمعية الطالب المغربية" التي مهدت لظهور حزب الإصلاح الوطني..."[58]، وهي الجمعية التي رأت فيها مجلة (المغرب الجديد) "... الهيئة الأدبية الوحيدة التي تقوم في شمال المغرب بنشر الثقافة بين المواطنين، وتحبيب المعرفة إليهم بمختلف الوسائل من محاضرات واحتفالات، عامة وخاصة، والحق أن تاريخها في الميدان الثقافي تاريخ مجيد"[59]. ومدير هذه المجلة نفسه (الشيخ محمد المكي الناصري) هو من أسس، فيما بعد، "نادي الوحدة المغربية"، ليكون مركزا ثقافيا تابعا لحزب الوحدة المغربية الذي كان يرأسه، حيث كانت من بين أهداف ذلك النادي: "تعميق الشعور بالوحدة المغربية في نفوس المسلمين

المغاربة وإعدادهم للسعي في سبيل تحقيقها من جديد، كما أنه مركز للثقافة والتهذيب والتربية القومية الصحيحة..."[60].

نفس الدور تقريبا، اضطلعت به المجالس والنوادي والأندية الأدبية بالمغرب، وخصوصا في الرباط (النادي الجندري مثلا)، حيث كانت تعمل على جمع الأدباء والشعراء للتداول والتحاور فيما بينهم حول القضايا والأحداث الوقتية، إلى جانب الدور المهم الذي لعبته المحاضرات التي كانت تلقى في جامعة القرويين، في التكوين وترسيخ الوعي الوطني والثقافي، وهو جانب يؤكده أحد رموز هذه المرحلة، الزعيم علال الفاسي، في قوله: " ومن الاعتراف بالحقيقة ودون الرغبة في أي افتخار يجب أن أقول إنه كان لهذه المحاضرات الدائمة أثرها الفعال في نشر المبادئ الصحيحة والأفكار النيرة وتأييد الحركة الوطنية في الأوساط الشعبية، كما كان لها فضل في تكوين ثلة من الشباب المثقف وتوجيهه الوجهة الصحيحة في القومية والسلفية وملئه بالروح القومية...".

كما لعبت الحركة السلفية آنئذ دورا بارزا في الدفع بالشباب إلى الاهتمام بالشؤون العامة، والانخراط في العمل الوطني، ومقاومة المشايخ الذين استفادوا من نظام الحماية، وذلك جانب لعبت جامعة القرويين، من خلال المحاضرات والدروس الشعبية الهامة التي كانت تلقى فيها، دورا كبيرا في تنوير هؤلاء الشباب والطلبة المتحمسين، بما فيها تلك الدروس التي كان يلقيها علال الفاسي نفسه حول معاني السيرة النبوية، والتاريخ الأول للإسلام، والمقارنة بين حال المسلمين في العهد الماضي وحالهم اليوم، وأسباب تقدم الأولين وانحطاط الأخيرين[61].

وقد ساهمت المرأة المغربية بدورها في هذا المجال الجمعوي الحيوي، من خلال قيام جماعة من نساء المغرب بتأسيس تنظيم نسائي عام 1947، في أحضان "حزب الشورى والاستقلال"، اختارت له اسم "أخوات الصفا"، فكان ذلك المؤتمر النسائي الأول من نوعه بالمغرب. وقد تأسست هذه المنظمة بالنظر إلى النزعة الليبرالية الإصلاحية التي تبناها "حزب الشورى والاستقلال" وإيمانه بالإصلاح الاجتماعي، حيث كان مفكروه يربطون بين قضية المرأة ومسألة تمدين المجتمع وتحديثه، وينظرون إلى تحرير المرأة، باعتباره جزءا من دعوتهم لتوفير الحريات الديموقراطية [62]، مع ما واكب ذلك من حماس لدى بعض رجالات الحزب المذكور للدفاع عن قضايا المرأة المغربية. ومن بين واجهات عمل الجمعية ودورها الإصلاحي الدعوة إلى تعليم المرأة من أجل التغيير وحب الوطن وخدمة المجتمع والبلاد، إلى جانب محاربة التقاليد والعوائد الضارة [63].

ذلك جانب يعكس الدور الإصلاحي والتنويري الذي كانت تقوم به الجمعيات الثقافية والمنتديات والنوادي وجامعة القرويين في تلك المرحلة التاريخية الحاسمة، بأسلوب جديد يدفع بالشباب إلى تجديد التفكير في حالهم ومصيرهم، وبشكل لم يكن قائما في الدروس الوعظية التي كانوا قد اعتادوها في تلك المرحلة.

إن اهتمام المجلات والجمعيات الثقافية بموضوع "الإصلاح" بشكل عام، في تلك المرحلة التاريخية، كان دائما اهتماما خاصا وممتدا في الزمن، وذا أولوية في سياسة تلك المجلات وفي خطها التحريري، وفي عمل تلك الجمعيات، ونضالاتها من أجل التحرر والحفاظ على الهوية العربية والإسلامية للبلاد، ولم يكن قط

اهتماما عابرا أو ظرفيا، مرتبطا فقط بالتواجد الاستعماري في المنطقة، اعتبارا لما كان لموضوع الإصلاح من أهمية حيوية قصوى، ومن تأثير بين، وحظ أوفر في الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية، حتى قبل ظهور الصحافة بشكل عام.

هوامش:

1- نجاة المريني، مفهوم الإصلاح في الكتابة الصحفية بمدينة سلا، في: الأدب المغربي الحديث: علامات ومقاصد، منشورات رابطة أدباء المغرب، ط1، الرباط 2006، ص 137.

2- نقلا عن: علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، لجنة الثقافة الوطنية لحزب الاستقلال (مراكش)، نشر وتوزيع عبد السلام جسوس، طنجة، ب.ت، ص 148.

3 - المرجع نفسه، ص 152 -153.

4- المرجع نفسه، ص 405.

5- محمد قاسمي، النقد الشعري الحديث في المغرب: 1900-1960، بحث لنيل الدكتوراه في الآداب، جامعة محمد الأول، مرقون بكلية الآداب والعلوم الإنسانية- وجدة 2000؛ ويعتبر من أهم الأبحاث التي تناولت قضية الإصلاح في مجال الشعر في الصحافة المغربية، منذ بداية القرن الماضي إلى غاية الستينيات منه.

6-ابن عباد، "لذعات بريئة..."، في: "مجلة المغرب"، السنة 3، العدد 5، أكتوبر 1934، ص 9.

7 -المرجع نفسه، ص 7.

8 - Abderrahman Tankoul, Les Revues Culturelles, in : Revue “Regards sur la Culture Marocaine”, n° 1, 1988, p.9.

9- Ibid, p.9.

10-"المغرب الجديد": مجلة علمية لخدمة الثقافة المغربية، العدد الأول، السنة الأولى، ربيع الأول 1354، يونيو 1935، تطوان- المغرب.

11- المرجع نفسه، ص2.

12- عبد القادر الشاوي، أسئلة المغرب الجديد، في: مجلة "آفاق"، السلسلة الجديدة، العدد الأول، 1992، ص74.

13- كرم إدريس، علاقات السياسي بالثقافي عند محمد المكي الناصري من خلال مجلة "المغرب الجديد" (1935 - 1936)، في مجلة: "الإحياء" العدد1، رقم التسلسل 13، ص221.

14 -افتتاحية مجلة "المغرب الجديد"، العدد الأول، السنة الأولى، ص 2 - 3.

15- المرجع نفسه، ص5.

16- المرجع نفسه، ص4.

17- المرجع نفسه، ص9-13.

18-مجلة "المغرب الجديد"، العدد الثاني، السنة الأولى، ص7-13.

19- "الثقافة المغربية": مجلة فكرية شهرية، تصدرها دار المغرب، العدد الأول، شهر غشت 1941.

20- افتتاحية مجلة "رسالة المغرب"، لمديرها محمد غازي، العدد الأول، السنة الأولى، 20 رمضان -1361 فاتح أكتوبر 1942، ص1 - 2.

21-المرجع نفسه،ص 3.

22- أصدرها محمد المراكشي بتطوان، العدد الأول، ربيع الثاني 1365هـ، مارس 1946.

23- "مجلة المغرب"، العدد الثالث، شتنبر 1932، ص35.

24- " مجلة المغرب "، العدد5، نونبر- دجنبر 1932، ص29.

25- "مجلة المغرب"، عدد 4، أكتوبر 1932، ص19.

26- "مجلة المغرب"، السنة 4، العدد 6 – نونبر 1935، ص1.

27- "مجلة المغرب"، العدد 7، فبراير 1933، ص2.

28- ذلك إجراء كان معمولا به بكثافة في تلك المرحلة، حيث كانت مجموعة من كتاب المجلات الثقافية والصحف يوقعون "بحرف" ما، أو باسم مستعار، وإن كان من السهولة على القارئ آنذاك التعرف على هوية الكاتب واسمه.

29-(ع)، تعليم البنات، في: "مجلة المغرب"، العدد2، السنة الأولى، غشت 1932، ص11-12.

30- (م)، المرأة المغربية وتعليم البنات، في: "مجلة المغرب"، السنة الرابعة، غشت – شتنبر، 1935 ص1.

31- "مجلة المغرب"، المرجع نفسه، ص1.

32- "مجلة المغرب"، السنة 1، العدد 2، غشت 1932، ص35.

33- "مجلة المغرب"، السنة 3، العدد6، نونبر 1934، ص23.

34- "مجلة المغرب"، السنة 2، العدد 14، نوفمبر 1933، ص3.

35- المرجع نفسه، ص3.

36- افتتاحية مجلة "دعوة الحق"، العدد الأول، ذو الحجة 1376، يوليوز 1957، ص5.

37- المرجع نفسه، ص24.

38- افتتاحية مجلة "البينة"، العدد الأول، السنة الأولى، ماي 1962، ص5.

39- المرجع نفسه، ص5.

40- المرجع نفسه، ص5.

41- مجلة "آفاق"، مجلة يصدرها اتحاد كتاب المغرب العربي، يناير، يبراير، مارس، 1963.

42- عبد الكريم غلاب، في افتتاحيته "إلى الأمام!"، مجلة "آفاق"، العدد 3، السنة الأولى، 1963، ص3.

43- محمد عزيز الحبابي، في افتتاحيته "إلى الأمام!"، مجلة "آفاق"، العدد الأول، السنة الأولى، 1963، ص3.

44- محمد عزيز الحبابي، افتتاحية " إلى الأمام!"، مجلة " آفاق "، العدد2، السنة الأولى، 1963، ص4.

45- المرجع نفسه، ص5.

46- افتتاحية مجلة "أقلام"، السنة الأولى، العدد الأول، مارس 1964، ص1.

47- المرجع نفسه، ص2.

48- افتتاحية مجلة "الثقافة المغربية"، يناير- فبراير، العدد الأول، السنة الأولى، 1970، ص6.

49- المرجع نفسه، ص6.

50- افتتاحية مجلة "الثقافة الجديدة"، السنة الأولى، العدد الأول، خريف 1974، ص3.

51- المرجع نفسه، ص3.

52- المرجع نفسه، ص4.

53- افتتاحية مجلة "الجسور"، العدد الأول، السنة الأولى، 1981، ص4 - 5.

54- عبد الرحيم بوعبيد، في افتتاحية مجلة "المشروع"، العدد الأول، الطبعة الثانية، بدون تاريخ ولا ناشر، ص3 - 4.

55- محمد عابد الجابري، افتتاحية مجلة "فكر ونقد"، العدد الأول، مارس 1997.

56- افتتاحية مجلة "نوافذ"، العدد الأول، السنة الأولى، يونيو 1998، ص4.

57- علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، مرجع مذكور، ص155.

58- إدريس خليفة، الحركة العلمية والثقافية بتطوان من الحماية إلى الاستقلال: (1912 - 1956)، الجزء الثاني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1994، ص 413.

59- مجلة "المغرب الجديد"، العددان 9 و10، ص131.

60- جريدة الوحدة المغربية، عدد 28، ص1، نقلا عن إدريس خليفة، مرجع سابق، ص417.

61- علال الفاسي، مرجع مذكور، ص159.

62- محمد معروف الدفالي، أخوات الصفا: تنظيم نسائي رائد في تاريخ الحركة الوطنية، في مجلة "أمل"، عدد مزدوج، 13 - 14، السنة الخامسة، 1988، ص178.

63- استفدنا في تحديد بعض واجهات عمل هذه الجمعية من المرجع السابق.

"عندما أتحدث عن مجلة «العربي» فإنما أتحدث عن مجلة ارتبطت بها منذ مطلع الصبا، وأتحدث عن وعد تعمدت به، وعن علامة من علامات هذا الوعد...".

جابر عصفور

في كتاب: العربي: سيرة مجلة، ص157.

"لا شك أن لمجلة «العربي» مزايا تنفرد بها وتعرف من خلالها، فهي توجهت أساسا إلى جمهور القراء العرب وعلى أوسع نطاق، وهي شكلت مشروعا ثقافيا متعدد الوجوه والمستويات... وما ينبغي التنويه به في هذا الخصوص أن المجلة عرفت لأول مرة كيف توازن في عصر العلم، بين الثقافة الأدبية والثقافة العلمية".

علي حرب،

في كتاب: العربي: سيرة مجلة، ص177.

مجلة (العربي)
ودورها في التواصل الثقافي
بين المشارقة والمغاربة

لا يخفى على أحد الدور الكبير الذي لعبته ولازالت تلعبه المجلات الثقافية العربية في بلورة العديد من أشكال التواصل الثقافي وصوره، بين المفكرين والمثقفين والمبدعين والقراء العرب، من مختلف الحساسيات والأجيال والأقطار.

ففي الوقت الذي كان فيه توزيع الكتاب العربي، وما يزال، دون المستوى المرتجى؛ كانت المجلات الثقافية العربية، التي تمكنت من عبور الحدود، تملأ بقوة فضاء التواصل والحوار الثقافي بين مثقفي وقراء العربية؛ بل وتدعم هذا التواصل الثقافي وتحافظ عليه، سواء من خلال نشر المقالات والدراسات والإبداعات، وتغطية الأنشطة والندوات المقامة هنا أو هناك، أو عبر التعريف بالإصدارات الجديدة في مختلف مجالات وحقول التعبير والمعرفة، عدا اهتمامها بمحاورة وجوه ورموز الثقافة والفكر والأدب والفن في البلاد العربية، مما كان له دور وتأثير لافتان، بشكل أو بآخر، في مد جسور التواصل الثقافي العربي وتعميقه وتطويره.

وتعتبر مجلة (العربي)، في هذا الإطار، من بين أهم المجلات الثقافية العربية الجامعة (فهي مجلة علمية وأدبية وتربوية واجتماعية وتاريخية وفنية وتشكيلية وسينمائية...) التي عملت، منذ عقود زمنية خلت، على بناء قنوات التواصل الثقافي بين المشارقة والمغاربة، بين الكتاب والقراء على حد سواء، داخل الوطن العربي وخارجه، وبشكل يتجاوز النخبوية فيما يتعلق بطبيعة هذا التواصل؛ وتلك إحدى ميزات مجلة (العربي) التي

راهنت عليها منذ البداية، بل وتعمل على توسيع فضاء تلقيها، حيث كانت هذه المجلة، وما تزال، توزع على صعيد واسع، وتقرأ من قبل شريحة عريضة من القراء العرب، داخل الوطن العربي وخارجه؛ وتساهم بالتالي في صناعة الوعي والتكوين الثقافي والمعرفي وتعميقه لدى قراء العربية، من مختلف الأعمار والأجيال والشرائح الاجتماعية.

ويكفي أن نستحضر، في هذا الإطار، مقطعا من كلمة للمرحوم الدكتور أحمد زكي، مؤسس مجلة (العربي) وأول رئيس تحرير لها، في افتتاحية العدد الأول منها، لكي نلمس عن كثب أن (العربي) كانت بالفعل، ومنذ بدايتها، مجلة موجهة لكل العرب، في قوله: "ولقد كان جاز للعربي أن تتخذ لها منزلا، أي قطر من أقطار العروبة، فبغداد جازت، وجازت القاهرة ودمشق، وجازت الخرطوم والرباط وتونس، جاز كل بلد له اللسان العربي لسانا، والبيان العربي الناضج بعروبته بيانا" (العدد الأول، دجنبر 1958).

لقد كانت مجلة (العربي)، وما تزال، من بين أهم المجلات الثقافية العربية السباقة إلى الاهتمام بطرح سؤال التواصل الثقافي والأدبي بين المشارقة والمغاربة، والاهتمام بتقديم كل ما قد يساهم في ردم تلك الهوة المفترضة بين جناحي الثقافة العربية في المشرق والمغرب العربيين، ومن ثم المساهمة في الحد من تلك الشكوى القديمة من انقطاع التواصل، ليس فقط بين أقطار المغرب والمشرق العربيين، بل أيضا بين مختلف الأقطار العربية. فهي المجلة التي كانت لها الريادة في فتح المجال للحوار والتساؤل المؤثر حول أزمة الثقافة العربية ومستقبلها، والتفكير في الصيغ الناجعة لإخراج الثقافة العربية من المأزق الذي

تتخبط فيه، بحيث ما فتئت مجلة (العربي)، سواء من خلال ركن "حديث الشهر" في بعض حلقاته التي أمضاها رؤساء التحرير ممن تعاقبوا على المجلة، أو عبر حلقاته التي يكتبها اليوم الدكتور سليمان إبراهيم العسكري، أو من خلال مقالات هذا الأخير في ذلك الركن المضيء المسمى "فكر"، أو أيضا عبر تقديم الكتب وتغطية الندوات التي تعنى بمقاربة أسئلة الثقافة العربية، والدفاع عن مختلف المشاريع الجادة في مجال التنمية الثقافية العربية.

ومجلة (العربي) كانت دائما تدعو إلى التعرض والتصدي لكل القوى الجامدة الرافضة لحركات التغيير والتطور في مجتمعاتنا، وتدعو إلى قيام "مصالحة ثقافية عربية"، وإلى كل ما من شأنه أن يساهم إيجابيا في قيام نهضة وتنمية ثقافية عربية شاملة، خصوصا وأن دولة الكويت، باعتبارها الراعية الأولى لهذه التنمية الثقافية على امتداد الوطن العربي - حتى قبل استقلالها- كانت دائما تجعل من بين أولوياتها التنموية مستقبل الثقافة العربية في ظل التحولات والتحديات العالمية الجديدة. فهي الدولة التي استضافت في نفس العام الذي تأسست فيه مجلة (العربي) "مؤتمر الأدباء العرب" في دورته الرابعة، عدا استمرارها في توسيع الأفق الثقافي العربي وإثرائه وتعميم الثقافة الكونية، سواء عبر إصدارها لعدد من المجلات والدوريات والسلاسل الثقافية المتخصصة، أو عبر استضافتها للندوات والمؤتمرات الثقافية والفكرية والأدبية الكبرى، وتنظيمها للأسابيع الثقافية في بلدان المشرق والمغرب العربيين...

لقد كانت بلدان المغرب العربي، كغيرها من الأقطار العربية الأخرى في المشرق العربي، حاضرة دائما في تفكير مجلة (العربي) وهي ماتزال مشروعا؛ بما يعني أن التوجه الثقافي العربي لهذه المجلة كان قائما بالفعل حتى قبل أن تتحول من مجرد فكرة إلى حقيقة مضيئة. ويكفي أن نستعيد هنا إحدى حكايات مجلة (العربي) مع "المغرب الأقصى" تحديدا، لكي نلمس أن مجلة (العربي) لم تكن، في البداية وهي مجرد فكرة، مرتبطة بالمركز الثقافي المشرقي فقط، بقدر ما وصلت سيرة تأسيسها إلى المغرب الأقصى. فقد كان الراحل الدكتور أحمد زكي، بمناسبة زيارته للمغرب لحضور المؤتمر الإقليمي الأول للجان الوطنية العربية لليونسكو بصفته رئيسا للوفد المصري، قد تداول مع بعض المغاربة –قبل أن تصدر المجلة– في شأن تعيين مراسل لها من المغرب، فكان أن تم اقتراح اسم "عبد الهادي التازي" ليعمل مراسلا لمجلة (العربي) من المغرب.

وبالفعل، كان المغرب حاضرا في مجلة (العربي)، في البداية، من خلال فكرة تعيين مراسل لها، كما كان حاضرا فيها أيضا، منذ العدد السادس (عام 1959)، بمقالة لعبد الهادي التازي عن "جامعة القرويين بفاس"، فكان هذا الموضوع الذي اقترحه عليه رئيس تحرير المجلة آنذاك، الدكتور أحمد زكي، فاتحة خير على عبد الهادي التازي، بحيث سيشكل فيما بعد موضوع أطروحته لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإسكندرية.

كذلك أنجزت حرم الدكتور عبد الهادي التازي، السيدة ثريا بوطالب، استطلاعا عن "المرأة في المغرب"، باقتراح من المجلة، ونشر في العدد الحادي عشر (أكتوبر 1959)، بعنوان

"فتاة مغربية تتحدث: المرأة المغربية حائرة بين حياء العرب وبهارج الغرب (ص126).

ومن بين ما يمكن استنتاجه، للوهلة الأولى، من خلال هذه الذكريات، كما رواها الدكتور عبد الهادي التازي في ركن "مرفأ الذاكرة"، ضمن مجلة (العربي)، هو أن "المغرب العربي"، عموما، كان دائما حاضرا في قلب الانشغال الثقافي العربي للمجلة، بالرغم من بعد المسافة، وطبيعة الظروف التاريخية والسياسية والثقافية واللغوية التي كانت سائدة آنذاك في بلدان المغرب العربي، وتحديدا في المغرب والجزائر وتونس. فالعدد الأول من المجلة، الصادر في بداية عام 1958، يحضر فيه المغرب العربي، ممثلا، هذه المرة، بالجزائر، حيث حمل غلافه صورة من استطلاع ميداني عن جيش التحرير الجزائري... وهو ما يعني أن التوجه الثقافي المغاربي للمجلة كان قائما منذ البداية، وما يزال مستمرا إلى اليوم، بالرغم من الصعوبات التي كانت في السابق تعوق، أحيانا، توزيع المجلة في البلاد المغاربية.

وفي كلام الدكتور سليمان إبراهيم العسكري، رئيس التحرير الحالي للمجلة، ما يزكي هذا الدور الذي قامت به مجلة (العربي)، منذ تأسيسها، حيث ساهمت، على حد تعبيره، "منذ بدايتها - قبل ظهور التلفزيون على وجه الخصوص- في تعريف القارئ العربي بالجزائر والمغرب وتونس وليبيا، بقضايا النضال المغاربي، ضد الاستعمار الفرنسي، وسلطت الضوء على المدن المغاربية وما تعيشه من أنشطة اجتماعية ودينية وسياحية، فكانت «العربي» خلال سنوات الخمسينيات والستينيات والسبعينيات - وبعدها- مرآة صادقة لبلدان المغرب العربي" (حديث الشهر، العدد 499، فاتح يونيو 2000)؛ بل إن مجلة (العربي) كثيرا ما

كانت تعاود إجراء الاستطلاع عن هذا القطر المغاربي أو ذاك، بروح متوقدة، وبرؤية ثاقبة، وبتقنيات وأسئلة جديدة تساير التطور الذي يكون قد طرأ داخل أحد هذه الأقطار العربية، أو غيرها، في مدنه ومعالمه وأجوائه الثقافية؛ وهي بذلك إنما تساهم في رصد الأوضاع العامة لهذا القطر أو ذاك، عبر تتبعها لتغير المناخات الثقافية والاجتماعية فيه، إذ سرعان ما تفاجئنا المجلة، في بعض أعدادها اللاحقة، بتوجيه بوصلتها من جديد نحو هذا البلد أو ذاك، مما يساهم كذلك في التأريخ، بشكل غير مباشر هذه المرة، لسيرة تلك الفضاءات الجغرافية، بموازاة مع تغير أمكنتها وتبدل أزمنتها أيضا.

مجلة (العربي) هي أيضا مجلة للوفاء والعهد؛ فعبد الهادي التازي الذي كانت المجلة قد عينته مراسلا لها بالأمس (من المغرب)، هاهي اليوم تكرمه (في الكويت) مع ثلة من المثقفين والكتاب العرب، ممن أثروا المشهد الثقافي العربي من المحيط إلى الخليج، في إطار إحدى الندوات السنوية للمجلة، التي نظمت في موضوع: "الغرب بعيون عربية": "تقديرا لدوره في خدمة الثقافة العربية وللجهد العلمي البارز الذي بذله في دراسة وتحقيق رحلة ابن بطوطة، فأحيى فيها أدب الرحلات في الثقافة العربية الإسلامية".

وبقدر ما تساهم مجلة (العربي) في التوجيه المعرفي لكتابها، وفي الاعتراف بهم وبدورهم في خدمة الثقافة العربية، بقدر ما تساهم أيضا، بالنظر لامتداد سيرتها التنويرية على ما يربو على الخمسين سنة، في التكوين المعرفي لمجموعة منهم، وفي شهرة آخرين، ممن ارتبطوا بالمجلة وبالكتابة فيها، ومن بينهم من بقي مدينا لها في شهرته طوال حياته. فهذا الكاتب

والمفكر الإسلامي المصري حسين أحمد أمين كانت بداية نشاطه في التأليف على صفحات مجلة (العربي)، ثم تتابعت مقالاته الإسلامية فيها، حتى لفتت نظر صاحب "دار الشروق للنشر" بالقاهرة ليستأذنه في أن يجمعها في كتاب صدر عام 1983 بعنوان "دليل المسلم الحزين". وهو الكتاب الذي قدر له الفوز بجائزة "أحسن كتاب في معرض القاهرة الدولي للكتاب" عام 1984 (1).

ومجلة (العربي) من خلال ذلك، إنما تساهم، من جهتها، في صناعة المعرفة والقراء، وتوفير لحظات الفرح لكتابها، والاعتراف بهم وبكتاباتهم وإبداعاتهم وقرائهم على حد سواء. فكان رد الوفاء بالوفاء، فقد استحقت (العربي) أن يحتفى بها، وأن تتوج بجائزة محترمة وذات مصداقية (هي جائزة سلطان العويس الثقافية)، فكانت المرة الأولى التي تحظى فيها مجلة عربية بهذا الشرف. كيف لا، وهي المجلة التي تتجدد باستمرار، ويزداد انفتاحها على العالم من حولها، حتى أضحت اليوم بالفعل منارة ثقافية عربية تضيء سماء الكون، فاستحقت بذلك تكريما آخر، حيث اختيرت، عام 2002. كأحسن مطبوعة ثقافية في الوطن العربي، في إطار الاستفتاء الذي أجرته صحيفة (الأهرام الدولي).

بصدد التواصل الثقافي بين المشارقة والمغاربة

أصبح بالإمكان اليوم، انطلاقا من التراكم الكبير الذي حققته مجلة (العربي)، على مستوى الأعداد التي أصدرتها إلى حد الآن–مع ضرورة الإشارة إلى أنها توقفت لفترة إبان الغزو العراقي للكويت، تمتد من شهر غشت 1990، تاريخ صدور العدد الأخير منها إلى شهر سبتمبر 1991، تاريخ استئنافها الصدور–

وبالنظر أيضا إلى كم المواد التي نشرتها، وعدد الأسماء التي ساهمت فيها من المشرق والمغرب، أصبح بإمكاننا أن نتتبع بعض مظاهر الحوار والتواصل الثقافي القائم بين المشارقة والمغاربة، كما تبنته مجلة (العربي) ودافعت عنه، من خلال مظهرين ثقافيين أساسيين على الأقل:

I- المظهر المباشر للتواصل الثقافي بين المشارقة والمغاربة في مجلة (العربي)

ويعتبر المظهر الأهم في دعم التواصل الثقافي بين المشارقة والمغاربة، لكونه هو الذي يجسد جوانب من ذلك التواصل القائم، وتحديدا عبر التفاعل المباشر بين مثقفي وكتاب هذا القطر العربي أو ذاك، بما هو تفاعل توفر له مجلة (العربي) مجموعة من القنوات (الأبواب) لتحقيقه : حوارات، مقالات، تغطية أنشطة، قراءات في كتب، استطلاعات...

وقد ساهم هذا المظهر في خلق وتوفير فضاء ثقافي مفتوح للحوار والمتابعة بين المشارقة والمغاربة، حيث شكل أحد الرهانات المفكر فيها بشكل لافت من قبل مجلة (العربي) منذ تأسيسها، ولا أدل على ذلك من الاهتمام المتزايد الذي توليه المجلة لمختلف الأصوات والأقلام والظواهر الثقافية في المشرق والمغرب العربيين، على حد سواء، عدا اهتمامها المتكافئ برصد التحولات الحضارية و التاريخية والسياسية والتاريخية والثقافية في هذا القطر العربي أو ذاك...

ويمكن تحديد بعض أوجه التواصل الثقافي وتجلياته لدى المشارقة من خلال الحضور الموازي للأفق الثقافي لبلدان المغرب العربي والأندلس. فقد شكل المغرب العربي، كرهان

ثقافي مشترك، أفقا مفتوحا في التوجه الثقافي القومي للمجلة؛ وخير دليل على ذلك، الحضور المكثف لبلدان المغرب العربي في مجلة (العربي) على عدة مستويات.

فالمغرب العربي (الثقافي عموما) كان دائما محط اهتمام ومتابعة من قبل هذه المجلة، ومن قبل المثقفين والكتاب المشارقة، سواء كبعد ثقافي وجغرافي متكامل، أو كبعد ثقافي محلي. ومن شأن المتتبع لمجلة (العربي)، في رحلتها الشائقة والمفيدة مع تحولات السؤال الثقافي العربي، أن يلمس عن كثب مدى ما قدمته وما تسديه هذه المجلة، منذ بدايتها، من خدمات للثقافة العربية في البلدان المغاربية، حيث كانت بعض القضايا الثقافية تشغل بال المثقفين في بلدان المغرب العربي، من قبيل قضايا التحرر والاستقلال السياسي ومسألة التعريب واللغة.

وقد ساهم المثقفون والكتاب والنقاد والرحالة المشارقة، إلى جانب إخوانهم المغاربة، على حد سواء، في إضاءة العديد من صور وأوجه الحضارة والتاريخ والثقافة في البلدان المغاربية، والتعريف برجالاتها ورموزها، بحيث كانت (العربي) هي المجلة السباقة دائما إلى الالتفات إلى هذا الجزء الممتد غربا من الوطن العربي الكبير، منذ أعدادها الأولى، وذلك بشكل يصبح معه اليوم من الصعوبة حصر أوجه ذلك الاهتمام والتواصل القائم والممتد بين المشارقة والمغاربة على المستوى الثقافي.

فمن خلال قراءة في المسار التطوري العام لأشكال التواصل الثقافي بين المشارقة والمغاربة في مجلة (العربي)، يمكن أن نستنتج أنه كان تواصلا مكثفا منذ البداية، وما يزال إلى اليوم، عبر أبواب وصفحات هذه المجلة الرائدة:

المغرب الأقصى: رهان قبلي على التواصل الثقافي بين المشارقة والمغاربة

يحظى المغرب الأقصى باهتمام خاص ومتزايد، وبحضور مركزي في مجلة (العربي)، من خلال مجموعة من الملفات والأبواب والمقالات والاستطلاعات التي يحضر عبرها المغرب الحضاري والتاريخي والفكري والثقافي والأدبي والفني، منذ تأسيس المجلة إلى اليوم.

فبعد مرور سنة فقط على صدور العدد الأول من مجلة (العربي)، يدخل المغرب إلى هذه المجلة الثقافية، كما سبقت الإشارة، كثاني قطر مغاربي بعد الجزائر، من خلال نشرها لمقالة لعبد الهادي التازي عن "جامعة القرويين". بعد ذلك، تزايد اهتمام المجلة بالأفق الثقافي المغربي، عبر مجموعة من المقالات لأقلام من المشرق والمغرب العربيين، والتي تناولت بالخصوص عددا وافرا من المواضيع والقضايا والأسئلة المتجددة باستمرار على امتداد ملفاتها؛ نذكر من بينها، كما وردت بذلك تسمياتها ومحاورها في هذه المجلة: حضارة المغرب وتاريخه، الفن الإسلامي في المغرب، الزجل الشعبي في المغرب، القصة القصيرة في المغرب، الرواية في المغرب، التشكيل المغربي، الأدب المغربي، الفكر المغربي... وأجرت المجلة عددا من الحوارات مع كتاب وفنانين مغاربة، كما يحضر (المغرب التاريخي) فيها من خلال بعض رجالاته وأعلامه: طارق بن زياد، عقبة بن نافع، عبد الله بن ياسين، ابن بطوطة، يوسف بن تاشفين... عدا قيام هذه المجلة بنشر سلسلة من الرحلات والاستطلاعات التي أجراها بعض الكتاب والمصورين المشارقة عن المغرب: عن حضارته ومآثره وأساطيره ومدنه وقبائله وأريافه وأحواضه

ومواسيمه وصحرائه ومعالمه وسدوده وسياسته المائية وعمقه الجغرافي والثقافي والاجتماعي (جامعة القرويين، أكاديمية المملكة المغربية، مسجد الحسن الثاني، مسجد أهل فاس، جبال الأطلس، سبتة، مليلية، أغادير، إفني، تافراوت، الدار البيضاء، الرباط، سلا، القنيطرة، مكناس، طنجة، فاس، سد علال الفاسي، سد الوحدة، الصحراء الكبرى، إميلشيل، وارزازات، مراكش، تطوان، أصيلة...)؛ وهي استطلاعات عادة ما يلجأ منجزوها، من خلالها، إلى استحضار ومحاورة بعض الشخصيات التاريخية القديمة والمعاصرة، وبعض رموز ووجوه الثقافة والأدب في المغرب: التهامي الكلاوي، محمد مصطفى القباج، عبد الهادي التازي، عبد الكريم غلاب، محمد بنيس، محمد شكري، وغيرهم، كما جاء في تلك الاستطلاعات المثيرة عن: («سد علال الفاسي: العدد 514، يونيو 1993»)، و(«المغرب.. عناق البر والبحر: العدد 444، نوفمبر 1995»)، و(«المغرب.. سحر الحضارة وتحديات المستقبل: العدد 502، سبتمبر 2000»)، و(«وارزازات قافلة حكايات مغربية: العدد 544، مارس 2004»).

وقد ساهم عدد مهم من الأسماء والأقلام المشرقية، بشكل لافت ومؤثر، في بلورة جوانب من الذاكرة الثقافية والحضارية والتاريخية والأدبية للمغرب، على امتداد العقود السابقة؛ نذكر من بينهم على سبيل المثال: أحمد محمد عطية، سليم زبال، عبد الوهاب شكري، بهجت عثمان، مصطفى نبيل، علي الراعي، محمد عبد الله عنان، حسين مؤنس، جمال الغيطاني، أبو المعاطي أبو النجا، نقولا زيادة، أحمد عبد الرحمن عيسى، محسن مهدي، سليمان الفهد، سليمان حيدر، أشرف أبو اليزيد،

أنور الياسين، إبراهيم سليمان العسكري، محمد المنسي قنديل، راجي عنايت، صلاح الدين المنجد، وغيرهم.

عدا ذلك، كان صوت الفكر والأدب والفن المغربي حاضرا، عبر ذلك الركن الشهير "وجها لوجه"، حيث كان حظ الثقافة المغربية من الانتشار والتلقي، من خلال هذا الركن تحديدا، مهما ومؤثرا. وذلك جانب سنتعرض له في مكان آخر من هذا البحث.

كما أن الحضور الثقافي للمغاربة في مجلة (العربي) لا يقل أهمية وامتدادا في الأزمنة وفي الأجيال من الحضور الثقافي لبعض الأقطار العربية الأخرى. فقد تناوب على الكتابة في هذه المجلة عدد من الكتاب والأدباء المغاربة من مختلف الأجيال والحساسيات، هؤلاء الذين تتفاوت مجالات اهتماماتهم الثقافية والأدبية في المجلة، وإن بدا أن معظمهم كان يكتب عن المغرب الثقافي، وعن أعلامه وأدبائه وظواهره الثقافية والأدبية والفنية ونصوصه الإبداعية، ليس من منطلق شوفيني ضيق، بل من منطلق الحاجة إلى التعريف بمنتوجهم الثقافي والأدبي، بالنظر إلى قلة معرفة القارئ المشرقي به وندرة تتبعه له، نذكر من بينهم : عبد الهادي التازي، ثريا بوطالب، محمد العربي الخطابي، محمد حجي، محمد عبد الله الجعيدي، محمد برادة، عبد الكريم غلاب، عبد الله كنون، إدريس الكتاني ، عبد العزيز بن عبد الله، عبد العزيز التمسماني، إبراهيم حركات، محمد الطوبي، عبد الكبير الفاسي الفهري، مصطفى حيران، هشام حراك، عبد السلام الموساوي، عبد الكريم الطبال، محمد صوف، مصطفى المسناوي، نور الدين صدوق، عبد المجيد شكير، زهرة زيراوي، سعيد الناجي، رشيدة بنمسعود،

عبد الرحيم العلام، الطاهر بن جلون، محمد عز الدين التازي، وغيرهم.

الجزائر: أفق ثقافي للتواصل الثقافي في مجلة (العربي)

بمثل ذلك الاهتمام الذي توليه مجلة (العربي) للمغرب الأقصى، كانت الجزائر حاضرة دائما في هذه المجلة باعتبارها أفقا ثقافيا مثمرا، وفضاء تاريخيا وثقافيا وفنيا مرجعيا للمثقفين والكتاب المشارقة؛ هؤلاء الذين اهتموا بتتبع وقراءة جوانب من الأوضاع الثقافية في الجزائر حتى قبل استقلالها. هكذا، إذن، تحضر الجزائر في مجلة (العربي) عبر سلسلة من المقالات والقراءات التي رصدت معركة التحرير، أو تناولت سير بعض زعماء الجزائر وأعلامها ورموزها (عبد القادر الجزائري، ابن بلا، عبد الحميد بن باديس، فرحات عباس، الزاهري...)، كما تناولت مقالات أخرى بعض القضايا الثقافية والفكرية والأدبية واللغوية في الجزائر، من قبيل قضايا: التعريب، الشعر الشعبي الجزائري، الفن الجزائري، القصة في الجزائر، المسرح العربي في الجزائر، الموشحات الجزائرية، السينما الجزائرية، عدا سلسلة أخرى من المقالات والملفات عن الجزائر ومعركة التحرير والاستقلال والبناء...

كما اهتمت مجلة (العربي) بالنشر لبعض الأدباء الجزائريين، بالرغم من قلتهم، لاعتبارات تاريخية، كانت مرتبطة، في البداية، بالوضع اللغوي في هذا القطر المغاربي، حيث كانت القصة الجزائرية حاضرة على امتداد سنوات السبعينيات والثمانينيات، من خلال بعض القصص المنشورة للكاتب الجزائري عبد الحميد بن هدوقة في تلك الفترة (ست قصص)؛ هو الذي ساهم، كذلك، في ترجمة بعض القصص

إلى اللغة العربية ونشرها بمجلة (العربي)، كما حظيت قصصه بقراءات مشرقية موازية، منها قراءة مهمة للدكتور عبد الله أبو هيف من سوريا (العدد 413، أبريل 1993).

كذلك يحضر الإبداع الأدبي الجزائري الجديد، على الأقل من خلال بعض الشعراء المجددين والجدد في الجزائر، وخصوصا الشاعر عز الدين ميهوبي، و الشاعر الزبير دردوخ، وتحضر الرواية الجزائرية، من خلال فصل روائي من رواية "كتاب الأمير" للروائي واسيني الأعرج...

وساهمت الاستطلاعات العديدة التي أنجزتها (العربي) عن الجزائر في التعريف بهذا القطر العربي، في مدنه وقبائله ومآثره التاريخية القديمة، وذلك إلى الحد الذي جعل وزير الأوقاف الجزائري يعترف، في مرحلة متقدمة من تاريخ المجلة، بأن استطلاع مجلة (العربي) عن الجزائر هو أكمل استطلاع في الوطن العربي (العربي، العدد 52، 1963، ص7)، ينضاف إليه ذلك الاستطلاع المضيء الذي أنجزه محمد المنسي قنديل عن «آثار الجزائر: رمز الهوية وبوابة التاريخ» (العدد 569، أبريل 2006).

تونس : تواصل فكري بين المغاربة والمشارقة

كان لابد لمجلة (العربي) أن تتمثل صورة تونس كفضاء تاريخي وحضاري ومستقبلي، من خلال سلسلة من المقالات عن هذا القطر العربي وعن أعلامه، وخصوصا (ابن خلدون)، هذا الذي كانت مجلة (العربي)، وما تزال، تولي شخصيته وفكره وذكراه المزيد من الاهتمام والمتابعة.

يحضر ابن خلدون منذ العدد التاسع (عام 1959)، إلى

جانب المصلح التونسي خير الدين باشا والشاعر أبو القاسم الشابي، وصلاح الدين بوجاه من المعاصرين، من خلال دراسات وقراءات بعض الأقلام المشرقية: محمد جابر الأنصاري، ساطع الحصري، رضوان إبراهيم، عماد الدين خليل، محمد عبد الله عنان، محمد علي نشأت، محمد عبد الرحمن مرحب، فاروق شوشة، وغيرهم. كما يحضر الإبداع التونسي باستمرار في مجلة (العربي)، من خلال بعض الملفات والمقالات حول السينما والقصة والمسرح والحوارات الأدبية مع بعض وجوه الثقافة والأدب في تونس.

أما نصيب تونس من الاستطلاعات فكان مكثفا أيضا، منذ الستينيات، حيث حظي "جامع الزيتونة" والصحراء التونسية (جربة وتوزر ومطماطة...) بالنصيب الأوفر من الاهتمام، من خلال مقالات واستطلاعات عثمان الكعاك ومصطفى نبيل وسليم زبال ومحمد طنطاوي...

ليبيا وموريتانيا: تواصل ثقافي لابد منه

بما أن الأفق الثقافي العربي كان هو الرهان الأول لمجلة (العربي)، فإن دائرة التواصل الثقافي المغاربي لن تكتمل لديها بدون الاستحضار الموازي لكل من ليبيا وموريتانيا، من خلال رصد جوانب من تاريخ هذين البلدين وحركية المشهد الأدبي فيهما، وخصوصا عبر بعض المقالات التي رصدت الحركة الأدبية في موريتانيا و المشهد القصصي في ليبيا، بما في ذلك التعرض لقصص الطوارق. عدا مساهمة الكاتب الليبي، من جهته أيضا، في نشر القصة وترجمتها في مجلة (العربي). كما كانت ليبيا وموريتانيا حاضرتين من خلال بعض الاستطلاعات عن مدنهما ومناطقهما وصحاريهما: بنغازي، غدامس، الصحراء الليبية، نواكشوط، شنقيط...، أنجزتها بعض الأقلام والعيون المشرقية

التي اهتمت بالمغرب العربي عموما، في عمقه الحضاري والتاريخي والجغرافي، وفي بعدّه الثقافي والأدبي والفني، نذكر من بينهم: سليم زبال، مصطفى نبيل، أحمد محمد عطية، فهد الكوخ، طه الحاجري، صبري حافظ...

كما كانت (العربي) حاضرة في كل ما قد يعمق من شكل التلاقح الثقافي بين المشرق والمغرب العربيين، وذلك من قبيل حضورها في مدينة نواكشوط مرافقة فعاليات الأسبوع الإعلامي والثقافي الكويتي عام 2004.

الأندلس : استكمال الدائرة وإنعاش الذاكرة

وحتى تكتمل دائرة التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب العربيين، كان لا بد من استحضار بلاد الأندلس، كبعد ثقافي وحضاري وأدبي لا بد منه، لاستكمال الدائرة وإنعاش الذاكرة التاريخية والثقافية العربية والإسلامية. فقد شكلت الأندلس على مر التاريخ أفقا للتواصل الثقافي بين المشارقة والمغاربة، الأمر الذي جعل مجلة (العربي) تولي بلاد الأندلس المزيد من الرصد والاهتمام، في سبيل تدوين جوانب من ذاكرتها التاريخية والثقافية العربية الإسلامية، وإعادة قراءة تراثها الفكري والأدبي والفني، وهو ما يجعل من استحضار الأندلس في مجلة (العربي) بمثابة استمرار لذلك التواصل الثقافي الخصب الذي كان قائما بين الغرب الإسلامي، بشكل عام، والمشرق العربي، ولو عبر تحريك الذاكرة والوجدان، وإعادة قراءة وتمثل تاريخ الأندلس وحضارتها وثقافتها وأعلامها، من خلال شكل من التواصل، غير المباشر هذه المرة، بين المشرق العربي (من خلال مفكريه ونقاده وأدبائه) والأندلس (من خلال حضارته وتراثه وأعلامه...).

فمنذ أواخر الخمسينيات، كانت الأندلس حاضرة في تفكير المشارقة، عبر مجموعة من المقالات والدراسات والكتب والاستطلاعات المنشورة في مجلة (العربي)، وخصوصا من خلال علماء الأندلس وأعلامه وأدبائه: ابن حزم، ابن الخطيب، ابن رشد، ابن هانئ الأندلسي، أبو حيان الأندلسي، ابن زيدون، ابن مالك الأندلسي، أبو الطيب الرندي، ابن زهر، وغيرهم، إلى جانب مقالات مشرقية أخرى عن الموشحات الأندلسية، واستطلاعات عديدة عن الأندلس ومدنها وطوائفها، كان آخرها ذلك الاستطلاع الممتع عن "غرناطة" (عام 2004). وقد ساهم في إنجاز ذلك كله عدد من الأقلام المشرقية المعروفة : محمد أبو زهرة، إحسان عباس، حسين مؤنس، يوسف الشاروني، محمد عبد الله عنان، محمد جابر الأنصاري، ساطع الحصري، محمد علي نشأت، أنيس المقدسي، أحمد حسن الزيات، جودة الركابي، قدري حافظ طوقان، عبد العالي سالم مكرم، حسن الأمين. وغيرهم.

يتضح من خلال هذا الزخم في الأسماء والمقالات والدراسات، وفي درجة الاهتمام بالأندلس في مجلة (العربي)، أن ثمة رغبة حقيقية من قبل المجلة في الإبقاء على التواصل الثقافي قائما بين المغاربة والمشارقة من ناحية، وبينهم وبين ذاكرتهم التراثية الأندلسية من ناحية ثانية، بالرغم من تغير الزمن والظروف التاريخية، وتلك رسالة نبيلة أخلصت مجلة (العربي) لمسؤولية الدفاع عنها وإحيائها، بما هو إنعاش، في الآن ذاته، للذاكرة الثقافية العربية والإسلامية، في واحدة من أزهى مراحل قوتها وعطائها وإشعاعها.

"وجها لوجه"، أو التواصل الثقافي المباشر بين المشارقة والمغاربة

ما فتئ التواصل الثقافي بين المشارقة والمغاربة يتعمق عبر هذا الركن الشهير "وجها لوجه" في مجلة (العربي). فعلى امتداد السنوات السابقة من عمر المجلة، كان الحوار الثقافي المباشر قائما بين المثقفين والكتاب في المغرب والمشرق العربيين، كما كان سؤال التواصل الثقافي مفتوحا بينهما أيضا، بالإضافة إلى أسئلة الكتابة والقراءة واللغة والهوية والعلاقة مع الآخر. وقد استطاع هذا الركن بالفعل- وما يزال- أن يخلق مجالا معرفيا حيويا وعميقا للتواصل، المتعدد الأوجه، بين المشارقة والمغاربة، بحيث لازال، إلى حد الآن، يشكل أحد الأركان الأساسية التي عملت على إيصال صوت المثقف العربي إلى مختلف الأقطار العربية، من خلال بعض الأسماء والفعاليات والأجيال الممثلة للثقافة والفكر والأدب والفن، في هذا القطر العربي أو ذاك.

وبالنسبة للمغرب العربي، فقد كانت أقطاره ممثلة بمجموعة من الأسماء من مختلف الحساسيات والأجيال، نذكر منهم، على سبيل المثال: عبد الهادي التازي ومحمد برادة ومحمد عابد الجابري ومحمد شكري والعربي الصبان وعبد الكريم برشيد (من المغرب)، وعمر بن قينة وأحمد جبار وعبد المالك مرتاض وزهور ونيسي والطاهر وطار وعز الدين ميهوبي وأحمد بن نعمان (من الجزائر)، وعبد السلام المسدي والحبيب الجنحاني وخليفة محمد التليسي (من تونس) وأحمد ابراهيم الفقيه (من ليبيا)...

كما يعتبر هذا الركن المثير (وجها لوجه) أحد الأبواب المهمة

التي كان له إسهام بالغ ومؤثر في مطارحة إشكال التواصل الثقافي بين المشارقة والمغاربة وصوغ أجوبة عنه. وهو ركن يعود إليه الفضل الكبير في إنتاج معرفة وتصورات مغايرة حول هذا الإشكال نفسه، بما هي تصورات تتسم بالاعتدال وعدم التعصب لهذا الرأي أو ذاك. ويكفي أن نقرأ بعض ردود الفعل المعتدلة التي نشرتها (العربي) بهذا الخصوص، لكي نلمس عن قرب أن سؤال التواصل الثقافي، «في قيامه أو في انعدامه»، بين المشارقة والمغاربة لم يعد يطرح بنفس الحدة كما في السابق، فهذا الدكتور عمر بن قينة، الأستاذ المحاضر في جامعة الجزائر، وأحد المهتمين بالكتابة والتأليف والبحث الأكاديمي والدراسات الأدبية، يقول في أحد الحوارات معه، جوابا عن سؤال العلاقة بين المشرق والمغرب: "ينبغي الإقرار بما يلي : إنه رغم مظاهر من أمراض (الحسد) الممدودة في قطر أو قطرين عربيين ربما، فإن المشرق العربي لم يبخس رجالنا حقهم في الاعتراف والإجلال. فكتابات ابن باديس كان يستقبلها إخواننا في سوريا والقاهرة بحرارة مثل تونس والمغرب. تاريخنا يقول أيضا إن المثقف أو الأديب الجزائري كانت هويته في لسانه وعقيدته، فإن جحده حقه وطنه (الجزائر) لقي الإكرام في سائر أقطار الوطن العربي" ("وجها لوجه"، العدد 461، فاتح أبريل 1997).

وفي جواب آخر عن سؤال متمم للأول، يضيف عمر بن قينة: "إن الحضور الفكري الجزائري المؤثر عربيا بدا فاعلا منذ القرون الإسلامية الأولى حتى اليوم"؛ ويسوق للتمثيل على ذلك بعض أسماء هؤلاء الذين ساهموا، في هذا التأثير، بآثارهم وإنجازاتهم ومؤلفاتهم وأفكارهم ومواقفهم، وبحضورهم الثقافي والفكري: الفقيه الشاعر بكر بن حماد التيهرتي، محمد

بن العتابي، طاهر الجزائري، ابن باديس، محمد البشير الإبراهيمي، مالك بن نبي، الفضيل الورثلاني والعنسيري...

ولا تتأخر مجلة (العربي) ، في كل مناسبة تتاح لها، في فتح صفحاتها أمام كل ما قد يساهم في تحقيق التقارب والتواشج الثقافي بين المشارقة والمغاربة، ولو من خلال عرض بعض الكتب ذات الصلة بالموضوع. فالاهتمام المشرقي بالأدب والثقافة في المغرب العربي لا يقتصر على الحوارات والمقالات المنشورة بالمجلة فقط، بل كثيرا ما يتعدى ذلك إلى تقديم الكتب التي تعنى بذات الموضوع، والتي ألفها مشارقة. فهذا الأديب والباحث السوري أحمد دوغان، المهتم بتاريخ الجزائر وأدبها وشخصياتها، وله في هذا الباب بعض المؤلفات المعروفة، يصدر كتابه "في الأدب الجزائري الحديث"؛ وفيه يكشف المؤلف عن وجهة نظر مشرقية مغايرة لما هو سائد لدى بعض المثقفين المغاربة، حيث يرى أن عتاب المغاربة للمشارقة على تقصيرهم بحقهم مبالغ فيه، إذ أن المؤتمرات والمهرجانات الثقافية والأدبية العربية تعقد سنويا، ويلتقي فيها الأدباء العرب بجميع أجيالهم دون النظر إلى قطرية هذه الدولة أو تلك، والأدب الجزائري معروف في كثير من الأقطار العربية.

وهذا الاهتمام من قبل الأدباء والنقاد المشارقة بالآداب المغربية عموما، ربما يعود، في جانب منه، إلى محاولة غير مباشرة من قبل هؤلاء لمحو تلك النظرة التقليدية السابقة، والمتمثلة خصوصا في ذلك الزعم الشائع القائل بأن المشارقة لا يقرأون للمغاربة. وهو تقريبا الشعور نفسه الذي أبان عنه، في مرحلة سابقة، الدكتور أحمد عبد الرحمن عيسى في مقالته "قراءة للقصة المغربية: منذ بداية القرن حتى الستينيات"

(المنشورة في العدد 226، سبتمبر 1977، ص ص 96-102)، والتي استهلها بسؤال كان مركزيا آنذاك، ولا يزال مشروعا اليوم: "ماذا يعرف أدباء المشرق عن أدب المغرب؟". يضيف عبد الرحمن عيسى: "الإجابة بالغة الصعوبة، لأن الواقع يقول إن ندرة لا تذكر من أدباء المشرق قرأوا للأدباء المغاربة، بعذر أو بغير عذر. وهذا المقال يحاول أن يقدم القصة المغربية منذ مولدها في بداية هذا القرن وحتى بداية الستينيات. وهو في النهاية محاولة متواضعة لسد الثغرة الكبيرة في معرفتنا بجهد الأدباء في النصف الآخر من عالمنا العربي..." (ص 96).

وبمثل هذه القراءات، وبمثل هذا الشعور القومي أيضا، عملت مجلة (العربي) جاهدة، منذ بدايتها، على ردم تلك الهوة التي كانت قائمة على مستوى التواصل بين الأدباء المشارقة والمغاربة، وذلك في كل مناسبة يتاح لها تحقيق ذلك والدفاع عنه، من قبيل تلك الفرصة التي انتهزتها المجلة إبان تواجد المفكر المغربي محمد عابد الجابري بالكويت، أستاذا زائرا لكلية الآداب بجامعة الكويت، لترتب لقاء فكريا بينه وبين الدكتور فهمي جدعان، أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة الكويت، فكان الحوار مثمرا بين مفكرين عربيين حول العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب العربيين، بما يوازيها من نفي لـ "القطيعة" و"الانفصال" بين فكرين ونظرتين، مع ما أثارته لديهما قضية "مشرق ومغرب" من التباس وسوء فهم لدى الآخرين، وغيرها من القضايا الفكرية والثقافية التي كانت تشغل بال هذين المفكرين، كما أنها لازالت تشغل المشهد الثقافي العربي إلى اليوم؛ حوار نشرته مجلة (العربي) في عددها 370، سبتمبر 1989؛ وجاء متزامنا مع ذلك الحوار الفكري الخصب الذي كانت مجلة (اليوم السابع)،

التي كانت تصدر من باريس، قد رتبته ونشرته على صفحاتها بين الدكتور محمد عابد الجابري والدكتور حسن حنفي، في موضوع "حوار المشرق والمغرب"؛ وهو الحوار الذي صدر فيما بعد، في المغرب (عام1990)، في كتاب تضمن، كذلك، سلسلة الردود والمناقشات التي أعقبت هذا الحوار المثير [2].

ولقاء مجلة (العربي)، على حد تعبير الدكتور فهمي جدعان ضمن نفس العدد "يختزل في عيني صورة لقاء المشرق والمغرب، ويثير في شجون الوطن العربي الذي راودت وحدته عقول أجدادنا وأفئدتهم، وهي تراود اليوم عقولنا نحن وأفئدتنا. لقد كان ذلك حلما دائما، لم يبدده تزامن خلافتين وأكثر في أرجاء المشرق والمغرب في هذه الفترة أو تلك".

غير أنه إذا كانت صورة التواصل بين المشارقة والمغاربة على هذا النحو في المجال الفكري والأدبي، فهي غير ذلك في نظر البعض في المجال الفني، وتحديدا في مجال السينما، هذا الذي ما زال يشكو، إلى حدود بداية العقد الأخير من القرن الماضي، من انعدام التواصل المؤثر بين الأقطار العربية بشكل عام. فهذا سمير فريد في قراءة لبعض "التجارب السينمائية في المغرب العربي"، يرى أن "الانقطاع بين مغرب العالم العربي ومشرقه يكاد يكون تاما (...).ولولا المهرجانات السينمائية الدولية والعربية لكان الانقطاع تاما بين المغرب والمشرق العربيين في مجال السينما" (العدد 407، أكتوبر 1992).

يتضح، إذن، من خلال قراءة بعض حلقات هذا الركن الممتع "وجها لوجه"، أو عبر تتبع بعض محتويات ومواد الأركان الأخرى، وخصوصا تلك التي اهتمت بمطارحة سؤال التواصل الثقافي بين المشارقة والمغاربة، أن الحوار الثقافي بين هؤلاء

كان قائما بالفعل، ولو بمستويات متفاوتة، لكنها كانت دائما تتقوى مع مرور الزمن، وتزايد الانفتاح بين المشارقة والمغاربة، كتابا وقراء، على بعضهم البعض، خصوصا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار كون جل من أجروا تلك الحوارات، في ذلك الركن، هم من مثقفي وكتاب المشرق العربي، نذكر من بينهم: زكريا عبد الجواد، عبد الله أبو هيف، جهاد فاضل، سعيد الكفراوي، محمد حسني طلبي، سهيل الخالدي، فهمي جدعان، الهادي عبد العالي، عادل زيتون..؛ وهو ما أضفى على تلك الحوارات نكهة خاصة وتوجها عربيا صرفا، بالنظر إلى طبيعة الأسئلة الموجهة لضيوف هذا الركن، الممثلين لمختلف التوجهات الثقافية والفكرية والأدبية والفنية، تلك التي غالبا ما تأخذ صياغتها بعين الاعتبار طبيعة "المسافة الثقافية المفترضة" بين المشارقة والمغاربة، من حيث قيام الرغبة لدى المحاور -بكسر الواو- (المشرقي) في معرفة جديد المحاور -بفتح الواو- (المغربي) في مجال الفكر والأدب؛ والاقتراب بالتالي من طبيعة انشغالاته الفكرية والنظرية والأدبية المعاصرة، واستدراج وجهات نظره حول بعض القضايا التي تشغل بال المثقف المشرقي نفسه، مما يضفي على تلك الحوارات عموما طابع الحيوية والامتداد والنفاذ.

هكذا، يبدو جليا أن مجلة (العربي) لم يكن يغيب عنها تمثل الخارطة الثقافية العربية، عبر تمثيلية متنوعة لرموز الثقافة والفكر والأدب في العالم العربي. ويكفي أن نشير هنا إلى بعض الوجوه التي ساهمت في بلورة هذا الحوار الثقافي العربي، لكي يتبين لنا مدى التنوع الحاصل في الحساسيات والأجيال والخطابات المؤسسة لجوانب من ذلك الحوار، بين: لطيفة الزيات

وماجدة الجندي- نجيب محفوظ وسامي خشبة- نزار قباني وسعاد الصباح- محمد الماغوط وسناء زعي- أحمد عبد المعطي حجازي وأنور الياسين- نجيب محفوظ ويوسف القعيد- غادة السمان وجهاد فاضل- أحمد أبو زيد وجورج طرابيشي- حسن حنفي ووفيق سليطين- هاني الراهب وطالب الرفاعي- عبد الله الغدامي وصالح العقل- إدوار الخراط وسعيد الكفراوي- الطيب صالح ومروان ناصح- حيدر حيدر وإبراهيم صموئيل- فؤاد زكريا وفاطمة العلي- أمين معلوف وجهاد فاضل- عادل إمام ومحمد المنسي- حلمي التوني وأشرف أبو اليزيد- الطيب تيزيني ومحمد الحوراني، سليمان إبراهيم العسكري ورشدي راشد، وغيرهم...

وبذلك يكون المثقف المغاربي قد حظي بدوره بنوع من التمثيلية المشرفة، على امتداد جل الأركان الأساسية الثابتة في مجلة (العربي)، بما فيها ذلك الركن الممتع أيضا المسمى "مرفأ الذاكرة"؛ هذا الذي تتناوب على الكتابة فيه مجموعة من وجوه الثقافة والأدب والفكر والفن في بلادنا العربية، فيما يشبه السرد الشخصي لجوانب من سير بعض مفكرينا وأدبائنا العرب، ممن وجهت لهم مجلة (العربي) الدعوة للكتابة في هذا الركن الشائق، ومن بينهم نشير إلى خمسة كتاب من المغرب العربي: عبد الهادي التازي ومحمد برادة (من المغرب) وأحمد إبراهيم الفقيه (من ليبيا) ومرزاق بقطاش (من الجزائر) والحبيب الجنحاني (من تونس)، في انتظار أن تقوم مجلة (العربي) بتعميم هذه الدعوة على وجوه وأسماء مغاربية أخرى، وتوسيعها لتشمل باقي الأقطار العربية، خصوصا وأنه يوجد من بين أولئك الكتاب، ممن وجهت إليهم الدعوة، وساهموا في هذا

الركن، من تكررت مساهمته -إيجابيا- في هذا الركن أكثر من مرة، وعلى رأسهم الروائي السوري حنا مينة.

إلا أنه بالنظر لعدد الكتاب المغاربيين الذين تمت محاورتهم في ذلك الركن المضيء "وجها لوجه"، يتبدى أن نسبة الاهتمام بمحاورة المثقفين والكتاب والفنانين المغاربيين، عبر هذا الركن، مقارنة بنظرائهم من بعض الأقطار العربية الأخرى، لا ترقى بعد إلى المستوى المطلوب، بحيث لازالت نسبة المشاركة المغاربية في هذا الركن جد ضعيفة، ولا تعكس بعد التمثيلية الحقيقية لمختلف الأجيال والحساسيات وأجناس التعبير، ومن شأن ذلك أن يحد من درجة الحضور المرتجى للمثقف والثقافة المغاربية في مجلة (العربي)؛ وأن يحد بالتالي من إيقاع التواصل الثقافي بين المشارقة والمغاربة.

لذا، واعتبارا للطبيعة المؤثرة لهذا الركن (وجها لوجه)، ولمرجعية طروحاته وطبيعة وجهات نظر المحاورين فيه، فإنه يجدر بمجلة (العربي) أن تضاعف من مجهوداتها للوصول إلى محاورة أكبر شريحة ممكنة من الأسماء، وقد تزايد عددها اليوم، كما تزايدت إصداراتها واتسع مجال تأثيرها، ولتكن هذه المرة بمثابة «حوارات متكافئة» بين المغاربة والمشارقة، من خلال ذلك الشكل الحواري التقليدي لهذا الركن، عوض الاكتفاء بإجراء "استجوابات" و"لقاءات"، يغلب عليها عموما طابع السؤال والجواب فقط، دون أن نقلل نحن من أهمية هذه التجربة نفسها في هذه المجلة.

II- المظهر الضمني في التواصل الثقافي بين المشارقة والمغاربة في مجلة (العربي)

يمكن تلمس هذا المستوى الثاني من خلال طبيعة التفاعل القائم بين المشارقة والمغاربة على مستوى ما تقدمه مجلة (العربي)، وما تنشره من معرفة تراثية وحداثية متنوعة، تخص المشهد الثقافي والفكري والأدبي والفني، داخل هذا القطر العربي أو ذاك، الأمر الذي يخلق لدى القارئ العربي عموما نوعا من الدهشة والإشباع المرجعي لهذه الثقافة أو تلك (والتقسيم هنا لضرورات بحثية فقط)؛ بحيث ساهم انفتاح مجلة (العربي)، منذ تأسيسها، على مختلف المشاهد والمشارب الثقافية العربية في تحقيق نوع من الانسجام والشمولية والتوازن في تمثل جوانب من ثقافة- ثقافات هذا القطر العربي أو ذاك، وهو ما يمكن تجليته من خلال البعدين التاليين:

البعد الثقافي القطري في مجلة (العربي)

لقد عملت مجلة (العربي)، منذ تأسيسها، على تخصيص بعض الملفات والمقالات التي اهتمت برصد ومقاربة بعض مجالات التعبير المختلفة، داخل هذا القطر العربي أو ذاك. فالمتصفح للأعداد الصادرة من هذه المجلة، إلى حد الآن، سوف يلمس عن كثب أنها كانت تضع أيضا من بين أهدافها خدمة البعد الثقافي المحلي في مظهره التواصلي العام؛ وهو ما يضفي على موادها طابع النفاذ والتأثير على القارئ العربي أينما كان، من خلال ما تقدمه تلك المواد المنشورة من معرفة حول مجالات التعبير المختلفة، إبداعية ونقدية وفكرية، نذكر من بينها بعض الملفات التي تم نشرها في (العربي)، منذ بدايتها، وعلى امتداد العقود الماضية من مسيرتها الثقافية المضيئة، وهي حول:

السينما، والغناء الشعبي، والفن التشكيلي، والقصة والرواية والأدب العربي والمسرح في بعض الأقطار العربية، من المحيط إلى الخليج: في الأردن والبحرين وتونس والجزائر والسعودية وسوريا والعراق وفلسطين والكويت ولبنان ومصر وموريتانيا والمغرب واليمن، كما هو الشأن أيضا بالنسبة للأندلس وبلاد المهجر...

عدا ذلك، أنجزت مجلة (العربي) العديد من الحوارات مع مجموعة من وجوه الثقافة العربية ورموزها، من خلال ذلك الركن الشهير "وجها لوجه". وهو الركن الذي تمكنت عبره (العربي) من خلق وتوفير فضاء تعبيري وحواري مناسب للمفكرين والكتاب العرب، لتمرير المعرفة، وتقريب جوانب من ثقافات وفنون وآداب هذا القطر العربي أو ذاك، وفضاء أيضا لإثارة قضايا ثقافية وفكرية وأدبية وفنية، تهم انشغالات هؤلاء وسيرهم الثقافية والفكرية، ومواقفهم وآراءهم النقدية والإبداعية...

البعد الثقافي العربي في مجلة (العربي)

يعتبر من أهم الأبعاد الثقافية التي بقيت مجلة (العربي) وفية له، ضمن رهانها ورسالتها الثقافية الثابتة. فبالنظر إلى التوجه الثقافي العربي للمجلة، فإن السؤال الثقافي العربي قد شكل، منذ البداية، أحد الانشغالات الأساسية للمجلة، من خلال اهتمامها بنشر المقالات والدراسات والملفات التي عنيت أساسا برصد بعض الظواهر والموضوعات الثقافية الكبرى وأسئلتها الراهنة، ومن بينها على الخصوص: الثقافة في الوطن العربي، الأدب العربي، الإنسان العربي والثقافة، التعريب في الوطن العربي، السير الشعبية العربية، السينما العربية، الفن

التشكيلي العربي، القصة العربية، المجلات الأدبية، المسرح العربي، السينما العربية، الشعر العربي، العقل العربي، التشكيل العربي، السيرة الذاتية العربية، ثقافة الطفل العربي، الثقافة العربية والترجمة، المثقفون والسلطة في البلاد العربية، مسؤوليات المثقفين العرب، الحضارة العربية، الحكايات العربية، الرحلة العربية، الفكر الإسلامي والعربي، المقالة، أدب الأطفال، وغيرها من الموضوعات والأسئلة والملفات العديدة التي خصتها مجلة (العربي) بمجال خاص وبمتابعات نقدية وتحليلية متجددة.

كذلك يبرز هذا البعد من خلال عمل مجلة (العربي) على نشر نصوص إبداعية لعدد من الأدباء والكتاب العرب، من مختلف الأجيال والاتجاهات والحساسيات، من المشرق والمغرب العربيين، وهو ما يعني أن ثمة إخلاصا متزايدا من قبل مجلة (العربي) للذائقة الأدبية والإبداعية العربية، منذ الرعيل الأول من الأسماء المؤسسة، وصولا إلى الجيل الجديد من المبدعين والأدباء العرب، بما يعنيه ذلك من أن مجلة (العربي) لم تكن غايتها، منذ تأسيسها، الانتصار لأفق ثقافي وقطري دون آخر، بل إنها كانت دائما تنشد الأفق الثقافي العام، في بعده العربي والقومي والإنساني؛ وذلك جانب سبق للدكتور أحمد كمال أبو المجد أن دافع عنه، منذ فترة مهمة، في مقاله المهم المعنون بـ: "الحوار المقطوع بين العرب والعرب: من أين يبدأ؟"، حيث دعا إلى "أن يضاعف الكتاب والمثقفون عنايتهم بضبط أصول الجدل وقواعد الحوار وآدابه، وأن يطالبوا أجهزة الإعلام في الدول العربية المختلفة بالتزام تلك القواعد والآداب..." (العدد 218، يناير 1977، ص28).

وفي هذا الإطار أيضا، كان لابد من الإشارة إلى بعد ثقافي آخر، عملت مجلة (العربي) على الاهتمام به والانفتاح عليه بكثافة، منذ أولى أعدادها، ويتعلق الأمر، هنا، بالدور الثقافي الأجنبي في عملية التواصل الثقافي العام في مجلة (العربي)، بحيث لم يكن أبدا من بين أهداف المجلة إغلاق صفحاتها أمام تمثل الأفق الثقافي العربي فقط، بل إنها كانت ومازالت، خلافا لذلك، مجلة منفتحة على كل أشكال الثقافات الكونية والإنسانية الأخرى، شعورا منها وإيمانا بضرورة التواصل مع الآخر، والانفتاح على إنجازاته وإسهاماته الثقافية والعلمية، وبضرورة الوعي بالمشروع الحضاري والتاريخي والعلمي والأدبي والتربوي الإنساني؛ وبالتالي تمثل كل ما تراه المجلة من شأنه أن يثري المشروع الثقافي النهضوي العربي. وهو مستوى لم تدخر مجلة (العربي) أي جهد لاقتحامه، والانفتاح على كل ما قد يكمل أو يضيف أو ينير ثقافة الأنا في ضوء ما يعرفه العالم من تحديات، ومن انفجار معرفي وعلمي متواصل، وما يفرضه الحوار الحضاري من ندية ومعرفة بالآخر وبمنتوجه الثقافي، المتنوع في لغاته ومرجعياته وطروحاته، سواء في أوروبا، أو في آسيا، أو في أمريكا، أو في الشرق. لقد كانت مجلة (العربي)، على سبيل المثال، أول مجلة في العالم تذهب إلى مسلمي الصين، كما جاء في العدد 264 من عام 1980.

من ثم، كان حضور (الآخر) في مجلة (العربي)، منذ تأسيسها، متعددا ومتنوعا، من خلال سلسلة المقالات والأبحاث والملفات التي تناولت بعض الأوضاع الثقافية والفكرية والأدبية في هذا البلد أو ذاك: الحضارة الأوروبية، الحضارة الغربية، حضارة البيرو، الحضارة اليونانية، الثقافة الإيطالية، الثقافة

العالمية، الأدب اليوغسلافي، الأدب المكسيكي، الأدب الفرنسي، الأدب الأمريكولاتيني، الأدب الفارسي، الأدب الألماني، الملاحم في الأدب الروسي، النوادر والفكاهات الفرنسية، الفن الأوربي، حوار الحضارات، الثقافة في بعض البلدان الغربية، الرواية الجديدة في فرنسا، الشعر والرواية والقصة والمسرح في العديد من البلدان الأوربية والأمريكية والأسيوية، ترجمات قصصية لكبار الكتاب من أوروبا وأمريكيا وآسيا...

عدا ذلك، تحرص مجلة (العربي) على نشر سلسلة من المقالات التي اهتمت بالفكر الفلسفي، وبالتجارب الأدبية والفنية لعدد وافر من المفكرين والأدباء والفنانين العالميين، هؤلاء الذين يصعب اليوم حصر جغرافياتهم، أو تعداد أسمائهم واهتماماتهم وانشغالاتهم المعرفية والفكرية والأدبية والفنية، كما تضمنتها هذه المجلة.

آفاق التواصل الثقافي بين المشارقة والمغاربة

صحيح أن الحضور الثقافي المشرقي في مجلة (العربي) كان دائما يفوق بكثير الحضور الثقافي المغاربي، لاعتبارات تاريخية وثقافية معروفة ومبررة؛ تلك التي كانت تتحكم في غياب التوازن على مستوى تمثيلية هذا القطر العربي أو ذاك، بمثل غياب التكافؤ الجغرافي والبشري بين أقطار المشرق العربي ومغربه أيضا. غير أن ذلك لا يعني أن ثمة غيابا مؤثرا للمشهد الثقافي المغاربي من مجلة (العربي). فمنذ الأعداد الأولى للمجلة، كان المغرب العربي حاضرا فيها بقوة، ثقافيا وفكريا وأدبيا وفنيا وجغرافيا، وعبر مجموعة من الأبواب الثابتة والأساسية فيها. وهو ما يدفعنا إلى تسجيل ملاحظة تبدو أساسية في هذا الإطار،

لما تعكسه من توجه مغاير لفهم طبيعة العلاقة القائمة بين المشارقة والمغاربة، على الأقل عبر صفحات مجلة (العربي).

فمن خلال قراءة موازية في بعض المقالات والحوارات المنشورة في أعداد مجلة (العربي)، والتي اهتمت أساسا بالتعريف بفكر المغاربة وحضارتهم وأدبهم وأعلامهم ورموزهم وكتبهم وإبداعاتهم، يبدو أن المشارقة هم الأكثر اهتماما بالكتابة عن الأقطار المغاربية، ومحاورة مثقفيها وكتابها، في الوقت الذي اهتم فيه معظم الكتاب المغاربة بالكتابة والحديث، في كثير من المقالات، عن القضايا الثقافية والأدبية لبلدانهم، لضرورات قد تبدو مرتبطة لدى بعضهم بالرغبة في التعريف بثقافتهم وإنتاجهم الفكري والأدبي في المشرق العربي، والوصول إلى قراء العربية في كل مكان، وتلك إمكانية كانت تتيحها لهم مجلة (العربي) أكثر من غيرها من المجلات الثقافية العربية الأخرى، وخصوصا في تلك الفترة التي ظهرت فيها هذه المجلة، علما بأن جل المجلات الثقافية المغاربية بشكل عام لم تكن تعبر حدودها لتصل إلى أكبر شريحة ممكنة من القراء؛ أو أنهم يكتفون فقط بالحديث عن قضايا ثقافية وإبداعية عامة، وهو ما يعني أن مجلة (العربي)، بالخصوص، قد ساهمت بشكل كبير في الحد من ذلك الفهم السابق لدى المغاربة، والمتمثل أساسا في عدم اهتمام المشارقة بهم وعدم قراءتهم لهم، بالرغم من تلك العوائق التقليدية التي لازالت قائمة أمام تحقق التواصل الثقافي بين هؤلاء بالشكل الواسع والمرتجى، ومن بينها على الخصوص عائق وصول الكتاب المغربي إلى المشرق العربي.

كما أن القول بكون مجلة (العربي) تنحاز إلى الكتاب المشارقة على حساب الكتاب المغاربة لم يعد له اليوم ما يبرره،

وإن كانت له بعض المصداقية فيما مضى من السنوات، وهو ما شكل، في السابق، مجالا لشكوى المغاربة من تقصير المجلة في حقهم، وقد أضحت اليوم منفتحة على مختلف الأصوات من المشرق العربي إلى مغربه، على مستوى الإبداع والمقالة والدراسة والحوار وتغطية الأنشطة الثقافية، المنظمة هنا أو هناك.

فمن خلال قراءة في بعض الأحاديث المرتبطة بالموضوع لبعض رؤساء تحرير المجلة، نجد أن النوايا الحسنة كانت متوفرة لديهم جميعا فيما يتعلق بالتوجه الثقافي العربي للمجلة، هو الذي كان دائما منفتحا على الأفق الثقافي العربي ككل، بما في ذلك الأفق الثقافي المغاربي؛ وتلك غاية استشعر أهميتها الدكتور سليمان إبراهيم العسكري في أحد أحاديثه بالمجلة، في قوله: "بأننا في (العربي) نتطلع إلى مساهمات جديدة وجادة من جيل المثقفين الجدد وممن سبقوهم، لطرح أفكارهم ورؤاهم وقضاياهم الثقافية وعرض تطور حياة بلدانهم وشعوبهم، من أجل المزيد من التواصل والتفاعل بين المثقفين العرب" (حديث الشهر، عدد 499، فاتح يونيو 2000). وهي الرغبة نفسها التي كان قد أبان عنها أول رئيس تحرير للمجلة الراحل الدكتور أحمد زكي، قبل أزيد من أربعين سنة، وتحديدا في العدد الخامس (أبريل 1959)، حينما قال: "الآن، وقد بلغنا بالعربي عدده الخامس، وعرف الكتاب هدفه، وأسلوبه، ومستواه، وهويته عامة، نرحب بكل ما يتحفنا به كتاب العرب، من الكويت شرقا إلى المغرب غربا، أن يتحفوا (العربي) من ثمرات عقولهم، وما أنتجته أقلامهم، مما لم يكن سبق له نشر" (ص9). وتلك دعوة تظهر، للوهلة الأولى، أن (العربي) كانت بالفعل مجلة موجهة إلى كل العرب، وإلى كل ما قد يثري طبيعة التواصل والحوار الثقافي بين المشارقة والمغاربة، أو حتى بين المشارقة أو المغاربة، فيما بينهم.

عدا ذلك، يجدر بمجلة (العربي) أيضا أن تنفتح، بشكل أوسع، على المرأة الكاتبة في العالم العربي، وفي المغرب العربي بوجه خاص، حتى تغدو فضاء ثقافيا مفتوحا أمام مختلف الأجناس والأصوات والأفكار والحساسيات. فالملاحظ، هنا، أن صوت المرأة المغاربية الكاتبة مازال غائبا، خصوصا وأن ثمة نقلة نوعية وكمية لافتة اليوم في قيمة الأسماء النسائية المغاربية الكاتبة في مختلف مجالات الأدب والمعرفة والفن.

فإذا كان الأمر مبررا في السابق، حين كانت العديد من المشاهد الثقافية العربية مازالت تؤسس لتراكمها الخاص على مستوى الأسماء النسائية الكاتبة، فإنه اليوم لم يعد هناك ما يبرر تجاهل المجلة لهذا التوجه والحضور الجديدين للكاتبات والمبدعات، من المغرب والمشرق العربيين على حد سواء، دون أن ننسى هنا ما يعرفه الخليج العربي اليوم من حضور جديد ومكثف ومهم للمرأة الخليجية الكاتبة، وخصوصا في مجال الإبداع الأدبي...

صحيح أن مجلة (العربي) كانت قد اهتمت، منذ بداياتها الأولى، بالمرأة المغربية، فخصتها باستطلاع أنجزته كاتبة مغربية، كما خصت غلافي عددين قديمين منها بصورتين شخصيتين لمغربيتين؛ واحدة لفتاة مغربية، هي ابنة أحد رموز الثقافة المغربية الحديثة، الراحل محمد الفاسي، وأخرى لعضو سابق في إحدى الفرق الغنائية الشعبية بالمغرب (جيل جيلالة)، هي المغنية "سكينة"، وغيرها من الوجوه النسائية المغربية والعربية والأفريقية والأسيوية التي تزين أغلفة أعداد مجلة (العربي)، عاكسة بذلك البعد الإنساني والتوجه الكوني العميق والمتجدر لهذه المجلة؛ وهو ما يعني أن ثمة اهتماما قبليا من

هذه المجلة بالمرأة المغربية، والعربية بشكل عام. لكن الأوضاع والمشاهد الثقافية اليوم قد تغيرت بشكل كبير، وظهرت أجيال جديدة من النساء الكاتبات والمبدعات والباحثات في هذا القطر المغاربي أو ذاك، ممن يكتبن باللغة العربية تحديدا، وإن كنت، هنا، أرد بعض اللوم، في ذلك، لكاتباتنا المغاربيات والمشرقيات أنفسهن؛ فهن أيضا مقصرات، في كثير من الأحيان -كما هو الشأن كذلك بالنسبة لبعض كتابنا الرجال- في المساهمة في دعم أشكال التواصل الثقافي بين المشرق العربي ومغربه، من خلال مجلة (العربي)، وذلك وضع لم يعد قائما اليوم بذلك الشكل، بعد أن تغيرت الكثير من قناعات بعض كتابنا وردود أفعالهم السابقة، و"المعاكسة"، تجاه هذه المجلة من ناحية، وتجاه الوضع القائم في هذا القطر العربي أو ذاك من ناحية ثانية.

بموازاة ذلك، يجدر بمجلة (العربي) أن تستعيد العمل بفكرة تخصيص بعض الملفات للأدب والثقافة في هذا القطر العربي أو ذاك، أو حتى على صعيد بعض الأقطار العربية مجتمعة، من خلال إعداد بعض الملفات ذات القضية أو القضايا المشتركة، من قبيل ذلك الملف المتميز التي أعدته المجلة حول "الفرانكفونية"، والذي عرف مشاركة مجموعة من الفعاليات الثقافية الوازنة من المشرق والمغرب العربيين، والمنشور في العدد515، أكتوبر 2001، وذلك لما لهذه التجربة عموما من دور وتأثير لافتين في التعريف بجديد الوضع الثقافي والأدبي الراهن، هنا وهناك.

ومن شأن ذلك أيضا أن يساهم، بشكل كبير، في تقريب القارئ العربي من مجال انشغال المشاهد الثقافية والأدبية في مختلف الأقطار العربية، وأن يدعم كذلك الرسالة التنويرية

للمجلة في مختلف فروع المعرفة التي تنتجها البلاد العربية، في المشرق والمغرب العربيين، على حد سواء.

وتبقى مجلة (العربي)، كذلك، خير إجابة عن مختلف ردود الفعل القائلة بانحسار دور المجلات الثقافية في مجتمعاتنا؛ ففي الوقت الذي يشكو فيه بعض المسؤولين عن المجلات الثقافية العربية من الرقابة ومن طغيان وسائل الإعلام، وسيادة جو معاد لكل ما هو ثقافي وتحرري وتنموي، وتراجع دور المثقف العربي في التأثير في مجتمعه، بالإضافة إلى تراجع مستوى القراءة في مجتمعاتنا العربية، نجد أن مجلة (العربي)، من خلال تجددها المستمر وإدراكها جيدا لرسالتها الثقافية النبيلة، ووعيها بالتحولات السريعة التي يعرفها العالم اليوم، ما فتئت تحقق الاستمرارية والنجاح تلو الآخر، عبر حفاظها على صناعة شكل من الإعلام الثقافي المقروء، ذاك الذي يستجيب حتما لشرط القراءة والكتابة ولزمنهما أيضا، وهو ما تؤكده من ناحية، مبيعات المجلة، وردود فعل القراء الإيجابية تجاهها من ناحية ثانية.

إن العبء الملقى اليوم على مجلة (العربي) يبدو أكبر من ذاك الذي تحملته المجلة في بداياتها. فإذا كانت (العربي) قد تحملت، منذ تأسيسها، عبء الدفاع عن الهوية الثقافية العربية في فترات تاريخية صعبة، فعليها اليوم أن تضاعف من مجهوداتها، وأن تقوي من مسؤولية دفاعها المستميت عن الثقافة والهوية العربية، في ظل الاكتساح الجديد للعولمة، بما تستهدفه هذه الأخيرة من محو للخصوصيات وللثقافات المحلية، بما فيها الثقافة العربية، وقد أصبحت اليوم مهددة أكثر من أي وقت مضى؛ وأيضا أمام هذا الاجتياح والغزو الجديد لوسائل

الإعلام المرئية، بغثها وسمينها، خصوصا وأن مجلة (العربي) ليست فقط مجلة ثقافية، بل هي أيضا مجلة الثقافة الموسوعية بامتياز.

وهو ما يجعل بالفعل من تاريخ مجلة (العربي) اليوم جزءا لا يتجزأ من تاريخ وحركية الثقافة العربية في المشرق والمغرب العربيين، وحتى خارجهما. كما أنها مجلة أصبحت تشكل جزءا أساسيا من المشروع الحضاري والثقافي النهضوي العربي، ساهم في ذلك كله استقطابها للمئات من خيرة رجالات الفكر والثقافة والأدب والفن في الوطن العربي، وحتى من خارجه، من مختلف الأجيال والأعمار والحساسيات والاهتمامات والجغرافيات، ولائحة هؤلاء قد يطول سردها هنا، ويشكل ذلك دليلا آخر على أن مجلة (العربي) كانت، وما تزال، منفتحة ليس فقط على الثقافة العربية الحديثة، بل على كل ما يمت إلى التراث والحداثة بصلة، بدون تعصب أو تحيز لهذه الثقافة أو تلك.

كل ذلك يجعل من مجلة (العربي) اليوم ذاكرة أساسية للثقافة والحضارة العربية، من خلال ما تحويه أعدادها من مواد ودراسات وأفكار وصور ولوحات واستطلاعات وحوارات، تؤرخ جميعها للتحولات الثقافية العربية في مناحيها المختلفة: المعرفية والإبداعية والفنية، كما تؤرخ لذاكرة الأمكنة والجغرافيات، ولعوالم الطفولة أيضا: طفولة الأشياء والوجوه والأحداث والسير... وهاهي المجلة اليوم تعيد ترتيب وصيانة جانب من ذلك التاريخ المتنوع بإعادة جمع بعضه في سلسلة مستقلة موازية للمجلة، وتحديدا من خلال هذه التجربة الفريدة مع "كتاب العربي"، وهي تثري اليوم موضوعنا هذا بكتاب جديد عن "الأندلس: صفحات مشرقة" بقلم نخبة من الكتاب العرب(3).

وما يمكن تسجيله بصدد هذه المبادرة الجديدة، بعد تجربتين سابقتين (أندلسيات عام 1988 بقلم محمد عبد الله عنان) و(إسبانيا ..أصوات وأصداء عربية، عام 1999، بقلم مجموعة من الكتاب) هو أن بلاد الأندلس كانت، ومازالت، تشكل دائما أفقا حضاريا وتاريخيا وثقافيا وأدبيا وفنيا للمفكرين والأدباء العرب، لتجديد قراءته وإعادة تمثله، في عمقه، وفي أبعاده المختلفة. غير أن ذلك لا يلغي الاستعانة كذلك بمقالات ودراسات لكتاب مغاربة ممن لهم باع طويل في مجال الأندلسيات، بالنظر إلى كون الأندلس أصبحت تراثا للإنسانية ككل، وهو ما قد لا يبرر خلو هذا الكتاب الجديد من أية مساهمة لكاتب أو باحث مغاربي.

وتعتبر مجلة (العربي)، أيضا، مجلة "الثقافة المستقبلية" بامتياز، بالنظر إلى كونها تساهم، بشكل دائم، في تجديد البحث في أسئلة الثقافة العربية، الأدبية والفكرية والعلمية والفنية، وغيرها من أنواع اهتماماتها الأخرى، ليس فقط من خلال اهتمامها بترسيخ الأسماء الجديدة، من هذا القطر العربي أو ذاك، ونشرها لدراسات ومقالات حول هذا الموضوع نفسه (أي مستقبل الثقافة العربية في ظل التحديات العالمية الجديدة)، ولكن أيضا عبر عملها المتواصل على تطوير المشروع الثقافي العربي، ممثلا هذه المرة في التفكير في النبتة الأولى، من خلال استصدارها لـ(ملحق) "العربي الصغير" و"الملحق العلمي"، وأيضا من خلال تنظيمها لـ "ندوة مجلة العربي"، وقد أضحت اليوم من بين أهم الندوات الثقافية والفكرية في العالم العربي.

من هنا، لا بد من التنويه، في الأخير، بكل من ساهم، من

قريب أو من بعيد، في إثراء مختلف أشكال التواصل الثقافي بين المشارقة والمغاربة من خلال مجلة (العربي)، وعلى رأسهم دولة الكويت، وبالأخص وزارة الإعلام الكويتية، ورؤساء تحرير هذه المجلة الرائدة، ممن تناوبوا إلى اليوم على إدارتها، بدءا بالمرحوم الدكتور أحمد زكي الذي ارتبط اسمه منذ البداية بالمغرب، من خلال تلك الزيارة الشهيرة التي قام بها لهذا القطر المغاربي، بحثا منه عن كل ما قد يسهم في تحقيق وترسيخ التواصل الثقافي بين المشرق العربي وأقصى نقطة في مغربه، وصولا إلى الدكتور سليمان إبراهيم العسكري، الذي ارتبط اسمه، هو أيضا، بالمغرب العربي، من خلال اهتمامه بهذا البعد الجغرافي العربي، ودعمه المتزايد للتواصل الثقافي بين المغاربة والمشارقة؛ سواء عبر تفعيله لمختلف أشكال هذا التواصل، من خلال نشره لكل ما قد يقوي الوحدة الثقافية العربية، ويضيء المشروع الثقافي النهضوي العربي، أو من خلال زياراته المتكررة لبلدان المغرب العربي، ولقاءاته مع مثقفيها وأدبائها، أو أيضا عبر كتابته واهتمامه بالبحث في هذا الموضوع نفسه. وتكفي الإشارة، في هذا الإطار، إلى مقالته المؤثرة، المعنونة بـ "مشرق العالم العربي ومغربه، ذلك التواصل المفقود" (العدد 499، فاتح يونيو 2000)؛ وفيها يكشف الدكتور العسكري عن بعض القضايا المرتبطة بسؤال التواصل الثقافي بين المشارقة والمغاربة؛ من قبيل تحليله لأسباب القصور الحاصل في التواصل، وكشفه عن سلبية الواقع الثقافي العربي، وتبيانه لبعض أسباب القطيعة بين المشارقة والمغاربة، وإشكال المركزية المشرقية؛ وتلك حالة مشتركة أيضا بين بلدان الخليج والجزيرة العربية وأقطار عربية أخرى: "فنحن في الخليج والجزيرة نشكو أيضا من بعض التجاهل والإهمال من قبل المثقفين في دول عربية أخرى تجاه

نتاج كتاب ومثقفي دولنا(...). فالإهمال ليس مشرقيا تجاه المغرب وحده إذن، إنما هي حالة مشتركة تتطلب من الجميع العمل الجاد لمعالجتها وتكثيف وسائل التواصل والاتصال من خلال المشاركة الواسعة في معارض الكتب العربية ومعارض الفنون التشكيلية والمساهمة في الندوات واللقاءات على غرار اللقاء الأخير الذي نظمه المجلس الأعلى للثقافة في القاهرة حول الرواية والقصة في كل من المغرب ومصر..."، على حد تعبير الدكتور العسكري في الحديث نفسه.

كما أنه لا بد من التنويه بكل من ساهم في التعريف بثقافة الأقطار المغاربية وبلاد الأندلس، على امتداد هذه العقود البهية من تاريخ مجلة (العربي). فكان لا بد من ذكر بعض أسماء هؤلاء الكتاب، ممن ارتبطت مساهماتهم في هذه المجلة ببلورة سؤال التواصل الثقافي بين المشارقة والمغاربة، منذ بداية المجلة إلى اليوم، سواء عبر الرحلات والاستطلاعات، أو عبر المقالات والدراسات والحوارات والصور: محمد عبد الله عنان، سليم زبال، حسن الأمين، مصطفى نبيل، أحمد محمد عطية، حسين مؤنس، يوسف الشاروني، ساطع الحصري، محمد المنسي قنديل، أشرف أبو اليزيد، أبو المعاطي أبو النجا، جهاد فاضل، عبد الله أبو هيف، سليمان الفهد، سليمان حيدر، سعيد الكفراوي، صبري حافظ، وغيرهم...

بناء على ما سبق، فإن الأمر يستدعي اليوم من مجلة (العربي) أن تفكر في فتح مكتب لها بالمغرب؛ ليس فقط أسوة ببعض الصحف العربية التي قامت بذلك، ولكن بالنظر إلى ما يعرفه المشهد الثقافي في العالم العربي بشكل عام، وفي المغرب العربي بشكل خاص، من حركية ونشاط، عدا قرب بلدان المغرب

العربي جغرافيا وتاريخيا وثقافيا من أوربا، الأمر الذي قد يبرر ربط الماضي (من خلال تفكير المجلة، سابقا، في اختيار مراسل لها من المغرب، في شخص الدكتور عبد الهادي التازي) بالحاضر (عبر اقتراح فتح مكتب للمجلة بالمغرب)، أو أيضا عبر تعميم طبعها في بعض البلدان العربية ذات الحضور الثقافي المؤثر، وتلك دعوة قديمة سبق أن نادى بها قبلنا محمود الأخرسي، أي منذ ما يزيد على ثلاثة عقود من الزمن، في مقالته "اطبعوا العربي في كل بلد عربي" (في مجلة "العربي"، العدد 170، يناير 1973، ص6)، خصوصا وأن هذه المجلة قد تطورت كثيرا، وتزايد عدد كتابها وقرائها، واتسعت دائرة امتدادها الوجداني والثقافي والجغرافي، وانفتحت على المزيد من الوجوه والحساسيات والفعاليات التنويرية، وقد أضحت "مقترنة بحركة الاستنارة العربية المعاصرة"، على حد تعبير الدكتور جابر عصفور، في حديثة عن هذه المجلة نفسها، وهو ما يجعل منها اليوم مجلة حداثية بامتياز.

هوامش:

* جميع الإحالات المستمدة من أعداد مجلة (العربي) تمت الإشارة إليها داخل البحث.

1 - حسين أحمد أمين: "مجلة كل العرب"، ضمن كتاب "العربي: سيرة مجلة"، الكويت، ب.ت، ص178.

2 - د. حسن حنفي ود. محمد عابد الجابري، حوار المشرق والمغرب، تليه سلسلة الردود والمناقشات، دار توبقال للنشر، ط1، 1990.

3 - كتاب العربي، العدد 58، 15 أكتوبر 2004.

"ليست «العربي» حادثة ثقافية عابرة في تاريخ العرب الحديث... إنها حديقتنا المقروءة وحاضنة توقنا إلى التوحد، وحارسة حلمنا المتجدد بعالم عربي لا يفترسه الجهل ولا تعوزه الحرية..".

شوقي بزيع،

في كتاب "العربي: سيرة مجلة"، ص186.

"و«العربي» بالنسبة للكويت مثل الأهرامات بالنسبة لمصر، جزء من شخصية الوطن وإحدى العلامات التي تشير إليه، يقال «العربي» فتتداعى إلى الذهن صورة الكويت، ويقال الكويت فيتذكر الإنسان مجلة «العربي»".

يوسف القعيد

في: مجلة "العربي"، العدد 382-394، سبتمبر 1991، ص122.

مجلة (العربي)
ودورها في إشاعة الثقافة العلمية واستشراف المستقبل العربي

لما تلقيت الدعوة لحضور هذه الندوة المهمة التي تنظمها مجلة (العربي) حول «**الثقافة العلمية واستشراف المستقبل العربي**»، فكرت في إعداد مداخلة في الموضوع، خصوصا وأنه لم يطلب مني هذه المرة البحث في موضوع محدد، فوجدتني أمام ثلاثة اختيارات:

إما أن أبحث في موضوع الندوة من زاوية نظرية وتأملية؛ فخمنت أن هذا المنحى في البحث سيشكل محور مداخلات جل المفكرين والباحثين المشاركين في هذه الندوة، بباعهم الطويل في هذا المجال.

وإما أن أقدم في هذه الندوة عرضا لـ«برنامج مستقبلي» يتبلور اليوم في المغرب، أطلق عليها («المستقبلية»: مغرب 2030»)، يدخل في إطار المقاربة الحكومية المستقبلية لـ «مغرب 2030»، ويقوم على إنجاز برنامج يعتمد على تنظيم منتديات ودورات دراسية قطاعية وموضوعاتية، وإنجاز أبحاث ميدانية لاستطلاع تصور بعض الشرائح السوسيو- مهنية لمغرب 2030؛ من بينها، على سبيل المثال، موضوع: «المجتمع المغربي: الثوابت والمتغيرات وسيناريوهات المستقبل»، عدا تنظيم المشرفين على البرنامج لبعض الدورات التي تندرج مجموعة من محاورها في صلب موضوع هذه الندوة.

غير أنني وجدت أن عرض تصورات هذه المقاربة قبل انتهائها في الزمن وفي البرمجة، وقبل اختيار السيناريو الذي ستعتمده الدولة في مخططات التنمية المستقبلية، قد يجعل نتائج مداخلتي محدودة هي أيضا.

من ثم، فكرت في مقاربة موضوع هذه الندوة من خلال الوقوف عند الدور الكبير الذي تقوم به دولة الكويت في مجال الاهتمام بنشر الثقافة العلمية وإشاعتها، واستشراف المستقبل العربي، انطلاقا من مشروعها الثقافي التنموي الكبير والمتوازن، بحيث يشهد لدولة الكويت بريادتها وحرصها المتزايد على تطوير المشروع الثقافي والعلمي العربي، والتفكير والتخطيط للمستقبل أيضا، وهو ما يبرزه الدور اللافت الذي تقوم به مراكز الدراسات والأبحاث العلمية، والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وجامعة الكويت، في هذا المجال، على الأقل من خلال ما تصدره هذه المؤسسات جميعها من دوريات ثقافية وعلمية وفكرية متخصصة[1]، وعبر ما تنظمه من ملتقيات وندوات فكرية وتكوينية كبرى، وهو الدور البارز الذي يزكيه كذلك اختيار «مجلة جامعة الكويت»، كأول دورية علمية عربية عام 1989، لتدرج في سجل النشرة الدولية التي تصدرها مؤسسة المعلومات العلمية (ISI) بالولايات المتحدة الأمريكية، وذلك قبل أن تنظم إليها في عام 1995 ثلاث دوريات أخرى من الكويت والمملكة العربية السعودية. ومن بين شروط انضمام المجلات العلمية إلى تلك النشرة التوفر على أعمال علمية دولية [2].

ولا غرابة في ذلك، مادام أن المجتمع الكويتي معروف بكونه مجتمعا منفتحا في الأصل على الثقافات الأخرى التي يتفاعل معها، وهو ما يعكسه، من الناحية الثقافية، ظهور أول مجلة في

الخليج العربي ككل، باسم «الكويت»، بما كانت تستهدفه هذه المجلة من دور تنويري وإشعاعي، يروم تحقيق المشروع الثقافي الكويتي الكبير.

كما أنشأت دولة الكويت، مباشرة بعد بناء الدولة الحديثة، مجموعة من المؤسسات والهيئات الثقافية والعلمية، كـ «مؤسسة الكويت للتقدم العلمي»، والتي ساهمت بشكل فعال في دعم العديد من المشاريع العلمية، وإصدار الموسوعات العلمية في شتى مجالات العلم والمعرفة.

لذا، وجدت أن مداخلتي في ندوة مجلة «العربي» في الدورة السابقة، في موضوع «حوار المشارقة والمغاربة»، والتي ركزت بالأساس على إبراز دور مجلة (العربي) ومساهمتها في بناء هذا الحوار وترسيخه وتطويره على عدة مستويات، قد تستلزم مني متابعة هذا المنحى الشائق والمفيد في الحفر والبحث في المشروع الثقافي والنهضوي لهذه المجلة المستقبلية، ضمن مشروع شخصي- بحثي ممتد في الزمن، وفي ذاكرة هذه المجلة الموسوعية، يتوخى رصد اهتمامات مجلة (العربي) ورسالتها التنويرية، وإبراز دورها المتواصل في نشر الثقافة العلمية والأدبية والتاريخية والتراثية والجغرافية والتربوية والبصرية، ومن ثم رصد دورها الممتد أيضا في دعم الحوار الثقافي والحضاري الكوني، بشكل عميق ومنفتح.

دور مجلة «العربي» في إشاعة الثقافة العلمية واستشراف المستقبل العربي

تنظم هذه الندوة العلمية، إذن، في ظروف تشهد اهتمام العالم اليوم بالعلم وبالثقافة العلمية، سواء من خلال اجتماعات مراكز الأبحاث هنا وهناك، أو من خلال الندوات والملتقيات والدراسات والدوريات المواكبة لهذا الموضوع، كان من بينها، على سبيل المثال، اجتماع «الجمعية العلمية العمومية للاتحاد الدولي» في صيف 2005 بفرنسا، بتمثيلية عربية وأفريقية فيه. ومن بين القضايا التي ناقشها الاجتماع المذكور أهمية التثقيف العلمي ودور مراكز البحوث في نشر الثقافة العلمية.

وتساهم مجلة (العربي) من جهتها، إلى جانب المجلس الوطني ومراكز الأبحاث الكويتية، في إشاعة الثقافة العلمية المستقبلية في العالم العربي، بهدف تنمية العقل العربي وتطوير معارفه، إلى جانب الدور الجديد الذي أصبحت تقوم به، في هذا المجال، المراكز والمؤسسات الثقافية والعلمية الأخرى التي ظهرت بعد التحرير، كمركز البحوث والدراسات الكويتية والصندوق الوقفي للثقافة والفكر، ومن بين ما يعنى به هذا المركز الأخير تشجيع البحث العلمي، ودعم الطلبة، وتحفيز الناشئة على الاهتمام بالعلم والإقبال على القراءة.

كل هذه الحيوية والدينامية التي تعرفها المراكز والمؤسسات الثقافية والعلمية الكويتية، ضمن إطار مؤسسي ضخم، يؤكد على هذا البعد الحضاري والنهضوي الكبير لدولة الكويت، في اهتمامها بنهضة شعبها والشعوب العربية، بمنظور متفتح، يهدف إلى تطوير الحياة الثقافية والمعرفية العربية، ونشر

الثقافة العلمية واستشراف المستقبل العربي، بوعي عميق بالتحولات الحضارية الكبرى، الطارئة عالميا، وبعيدا عن أية تبعية سياسية أو إيديولوجية، غير مفكر فيها أصلا.

من هذا المنطلق، إذن، تساهم مجلة (العربي)، بيقظة، وبمنهجية موضوعية، وبحُرية معرفية، في نشر الثقافة العلمية وإشاعتها في البلاد العربية، والاهتمام بالمستقبل العربي، بنفس المستوى الذي تساهم فيه بنشر الثقافة الأدبية والتاريخية والفنية وغيرها؛ بل إن المتأمل اليوم في أبواب هذه المجلة الموسوعية وموضوعاتها سوف يفطن إلى أن مساحة الثقافة العلمية فيها ما فتئت تتسع عددا بعد آخر، سواء من خلال استقطاب المجلة لأسماء وازنة، وإضافة نوافذ جديدة يطل من خلالها القارئ والمجلة على المستجدات العلمية في شتى المجالات، أو من خلال تحسيسها المستمر للقراء وتحفيزهم على الإقبال على الثقافة العلمية الحديثة واستيعابها، والتفكير في المستقبل، من لدن الأطفال والشباب والكبار، على حد سواء.

فكل جيل من هذه الأجيال، وعلى امتداد الجغرافيا العربية، يجد في مجلة (العربي)، كما في شقيقاتها الأخرى، ما يغذي نهمه إلى المعرفة والإبداع العلميين، تفكيرا وتحليلا وتصويرا، وما يهيئه، حسب إمكانياته الثقافية وحسب ما يبديه من إرادة للتغيير، لاستقبال عالم الغد، كما يجد فيها ما يستجيب لطموحه الاجتماعي والثقافي، وما يحدد هويته الثقافية والشخصية، بعيدا عن أي شكل من أشكال الانغلاق والرفض والتحجر والجمود والتفكير المضاد للعلم، كالتفكير الخرافي. ويتم ذلك كله، في هذه المجلة، عبر مواد ومعطيات علمية وتحليلية، تتسلح في مجملها بالرؤية التفاؤلية بالعلم واستشراف المستقبل.

كل ذلك، يجعل مجلة (العربي) اليوم شبيهة بمركز للدراسات والبحوث، في مجال الاهتمام بالثقافة العلمية والمستقبليات، بالنظر لهذا الورش الكبير الذي فتحته المجلة أمام نشر المعلومات والمعرفة العلمية وتأكيدها في الوسط العام، وأيضا بالنظر لاستقطابها لكفاءات فكرية وثقافية وعلمية وأدبية وتربوية متميزة، إضافة إلى فئات القراء أيضا، وحفزهم جميعا على الاهتمام بكل ما يمت إلى الثقافة العلمية والمستقبل بصلة، بشكل جعل مجلة (العربي) تضع من بين أهدافها الأساسية كذلك الدعوة إلى الانفتاح على الثقافة العلمية وتبنيها، وصناعة المستقبل واستشراف آفاقه، من منطلق عام، تساهم فيه جميع الشرائح الاجتماعية المتعلمة، وليس النخب فقط.

من ثم، كانت مجلة (العربي) وما تزال، من خلال إيمان المسؤولين والمشرفين المتعاقبين عليها بهذا المجال الحيوي، واعية تمام الوعي بما يحدث في العالم من متغيرات، بحيث نجدها تضع المستقبل العربي تحديدا نصب عينيها، أمام ضعف وعينا نحن بالثقافة العلمية وبالمستقبل، بشكل جعل هذه المجلة، من موقع غيرتها على راهننا العربي ومستقبله، ومن حيث إحساسها أيضا بما يهدده، تفرد اليوم لهذا الموضوع ندوة متخصصة، لتعزيز المزيد من الشعور في مجتمعنا بالمسؤولية العلمية لفهم مشكلاتنا، ومسايرة التطورات الكونية، وأيضا للتوعية بأهمية المستقبل في التغيير والارتقاء.

واهتمام مجلة (العربي)، على امتداد مسيرتها التنويرية، بنشر الثقافة العلمية وإشاعتها، وانشغالها أيضا بتحديات المستقبل في ضوء ذلك، هو اهتمام مفكر فيه ومبرمج له ضمن الخط التحريري والتوجيهي العام للمجلة، وليس اهتماما عابرا

أو مناسباتيا. والأهم من ذلك كله هو قدرة هذه المجلة على نقل وإيصال جوانب من تلك الثقافة العلمية باللغة العربية تحديدا، ويمكن اعتبار ذلك مجهودا استثنائيا آخر ما فتئت مجلة (العربي) تعمل على تطويره، بغاية تسهيل تلقي مختلف أنواع الثقافات التي تنشرها، من قبل مختلف شرائح القراء والمهتمين العرب، داخل الوطن العربي وخارجه، بهدف إرواء غليل هؤلاء وإشباع رغائبهم من الثقافة والمعرفة العلمية الجديدة، برؤية تحليلية ونقدية، لا تلغي الاحتفاء بالعلم والثقافة العلمية وتتبع تطورهما في العديد من المجالات، بموازاة مع التنبيه إلى بعض مخاطرهما أيضا.

ومجلة (العربي)، عبر ذلك كله، إنما تكمل دور مراكز الدراسات والأبحاث العلمية وبعض المؤسسات الثقافية والعلمية العربية في هذا البلد أو ذاك، من خلال دورها اللافت في بناء التواصل بين الثقافة العلمية والمجتمع العربي، في ضوء الأحداث والمتغيرات العالمية وتداعياتها، بهدف التحسيس بأهمية مثل هذه الرؤى الاستراتيجية في بناء الوطن والتخطيط لمستقبله، على أسس علمية رصينة، بعيدا عن أية نزعة صدامية مع التطور الحضاري ومنجزات التقنية والتحديث.

وتلك سياسة ما فتئت مجلة (العربي) تعمل على تطويرها في صيغ جديدة، إيمانا منها بضرورة إشاعة الثقافة العلمية في أوساط الأطفال، وفي أوساط الشباب والمتخصصين، سواء من خلال مجلة (العربي الصغير)، بما تتناوله أعدادها من معرفة علمية وتفكير في المستقبل وفي تقدم العالم، أومن خلال هذه الإطلالة الشهرية المصورة لملحق (العربي العلمي) على جديد العلم والتكنولوجيا في العالم، وأيضا من خلال سلسلة (كتاب

العربي) في بعض أعداده التي تمحورت حول هذا الموضوع نفسه، منذ بداية هذه السلسلة إلى اليوم، وتحديدا منذ عددها الثاني، الصادر في أبريل 1984، في موضوع: «العلم في حياة الإنسان» للدكتور عبد الحليم منتصر، مرورا بكتب أخرى، فردية وجماعية، صادرة ضمن هذه السلسلة، من قبيل: «ماذا في العلم والطب من جديد؟» (كتاب جماعي، العدد 21، أكتوبر 1988)، و«الطفل العربي والمستقبل» (كتاب جماعي، العدد 23، أبريل 1989)، و«الخليج العربي وآفاق القرن الواحد والعشرين» (كتاب جماعي، العدد 30، أكتوبر 1997)، و«حضارة الحاسوب والأنترنيت» (كتاب جماعي، العدد 40، أبريل 2000)، و«الطريق إلى المعرفة» للدكتور أحمد أبو زيد (العدد 4، أكتوبر 2001)، و«مستقبل الثورة الرقمية» (كتاب جماعي، العدد55، يناير 2004)، و«المعرفة وصناعة المستقبل» للدكتور أحمد أبو زيد (العدد 61، يوليوز 2005).

ويعتبر الدكتور أحمد أبو زيد، في هذا الإطار، من بين أهم المفكرين والباحثين العرب الذين ينشغلون بسؤال الثقافة والمعرفة العلمية واستشراف المستقبل، سواء من خلال دراساته العلمية والفكرية بمجلة (العربي)، أو من خلال كتبه وأبحاثه المنشورة، ومن بينها كتابه المهم: «المعرفة وصناعة المستقبل»، الذي قال عنه الدكتور سليمان إبراهيم العسكري، إنه «يقدم رؤية فكرية لكل عشاق المستقبل، ولكل الذين يؤمنون بضرورة التغيير في عالمنا العربي». ويؤكد هذا الكتاب كذلك، حسب الدكتور العسكري، «أن العلم قد أصبح ثقافة المستقبل، في حين اقتربت الثقافة من أن تصبح علم المستقبل الشامل، الذي يطوي في عباءته فروعا معرفية متعددة»[3].

وإذا كان مصطلح «الثقافة العلمية»، حسب أسامة الخولي، في بحثه المعنون بـ«الثقافة العلمية في الوطن العربي: هل من جديد؟»[4]، مازال دون تعريف واضح وبالغ الدقة، حيث مازال الكثيرون يقصرون مفهوم هذه الثقافة على أمور تبسيط العلوم والإلمام بآخر إنجازات العلم والتكنولوجيا، فإن وظيفة الثقافة العلمية، كما تشيعها مجلة (العربي)، «تتطلب تثقيف غير العلميين علميا، وتوعية العلميين ثقافيا، بل وعلميا أيضا»[5]، بحيث تبدو الثقافة العلمية، في هذه المجلة- التي يعتبرها الدكتور نبيل علي في كتابه «الثقافة العربية وعصر المعلومات» واحدة من المنابر الإعلامية الأساسية ذات الاهتمام أكثر بالثقافة العلمية- مكونا أساسيا من مكونات الثقافة العامة، مما يبرر ضرورة إشاعتها بين مختلف الأجيال والأعمار، حيث إن الرهانات المجتمعية اليوم تنصب على الثقافة العلمية والمعرفية.

أما استشراف المستقبل، فيشكل اليوم ضرورة للإنسان، «ذلك لأن أي معالجة للقضايا الراهنة والمشكلات التي نعيشها في عالم اليوم لها آثارها المترتبة عليها في المستقبل. ومن ثم، فهي دعوة إلى اتساع الرؤية للحاضر»[6]، مما يستلزم، اليوم أيضا، من وطننا العربي وضع برامج على المدى القريب لمواجهة التحديات العلمية التي تهدده، في الوقت الذي سبقت فيه الدول المتقدمة إلى إدراك أهمية الثقافة العلمية في توعية شعوبها، وفي تنمية مجتمعاتها وتقدمها، بمثل سبقها أيضا إلى إعداد برامج للتربية العلمية، بهدف إشاعة الثقافة العلمية ومحو الأمية العلمية بين أفراد شعوبها. ويكفي أن نشير، هنا، إلى برنامج 2061 لـ «الجمعية الأمريكية لدعم التقدم العلمي»، وبرنامج «الوكالة اليابانية للعلوم والتكنولوجيا»، بما يهدفان إليه من نشر

الثقافة العلمية وزيادة الوعي العلمي والتقني لدى عامة الناس، وخصوصا لدى الأطفال والشباب. وهو الدور الذي اعتادت مجلة (العربي) وشقيقاتها المراهنة عليه، انطلاقا من كون هذه المنابر جميعها تستهدف توسيع مدارك الأجيال حول العالم الذي يعيشون فيه.

ومن ذلك أيضا ما يتم به عادة «تقديم» مجلة (العربي) وشقيقاتها، فمجلة (**العربي**) تعتبر من بين أكثر المجلات الثقافية العربية قدرة على تحقيق مطلب الجمع بين الثقافتين: الثقافة الإنسانية الواسعة (...) والثقافة العلمية الموضوعية الرصينة، والتي تقوم على البحث الدقيق والعميق، وعلى الكشف العلمي المتجدد والمتنوع. وقد حققت مجلة (العربي) ذلك المطلب منذ صدورها، ليس فقط من خلال تنوع موضوعاتها التي ترتاد مختلف فروع المعرفة، ولكن أيضا من خلال عرض حقائق العلم الجافة بأسلوب عربي سليم، يجمع بين الدقة والرقة والتشويق[7]، هي التي كانت «سباقة إلى تطبيق مفهوم مستقبلي للثقافة العربية، بمعنى أنها منظومة تتسع لكل المعارف الإنسانية» [8].

أما (**كتاب العربي**)، الذي يكمل رسالة مجلة (العربي) التنويرية، «فيشكل رؤية ثقافية تتأمل الماضي وتستشرف المستقبل»؛ في حين يمثل (**العربي الصغير**) «المجلة الأولى للأطفال في العالم العربي.. أمل في المستقبل.. ونظرة إلى الغد»، كما يبدو ملحق (**العربي العلمي**) «إطلالة شهرية مصورة على جديد العلم والتكنولوجيا».

وما كان لهذه المنابر جميعها أن تتبوأ هذه المكانة، وأن

تضطلع بهذا الدور التنويري المركزي، على مستوى إشاعة الثقافة العلمية واستشراف المستقبل العربي، لولا ما كان يضفيه المشرفون عليها من خبراتهم، وما يضيفونه إليها من إبداعهم وأفكارهم، بموازاة مع ما يعرفه العالم من تحول وتطور سريعين، في الفكر والعلم والمعرفة والثقافة، وذلك منذ أول رئيس تحرير لمجلة (العربي)، الدكتور أحمد زكي، المعروف بشخصيته العلمية الموسوعية، وبكتاباته في تاريخ العلم والاختراعات وترجمة الآثار العلمية، والمعروف أيضا بدوره الكبير في إنشاء بعض المؤسسات التي تعنى بالبحث العلمي والثقافة العلمية في مصر، مرورا برؤساء التحرير الآخرين، هؤلاء الذين أضفوا على هذه المجلة طابعا جماليا ونفخوا فيها روحا جديدة، وصولا اليوم إلى الدكتور سليمان إبراهيم العسكري الذي جعل هذه المجلة يمتزج فيها العلم والأدب وروح التراث مع منجزات العصر الحديث. واكتست مجلة (العربي) بذلك حسا تنويريا ما زال ممتدا فيها إلى اليوم.

كما تكمن أهمية هذا التوجه الجديد لمجلة (العربي) فيما يضفيه عليها الدكتور العسكري، وبمعيته هيئة التحرير، من لمسة حداثية وعصرية، مع احتفاظه على إرثها التاريخي، عبر الإضافة إليه وتطويره، وليس من منطلق إلغائه على حساب الثوابت الأخرى للمجلة. فإذا تأملت اليوم مجلة (العربي) من الناحية الأدبية وجدتها مجلة أدبية بامتياز، وإذا تأملتها من الناحية الفكرية والعلمية وجدتها مجلة فكرية وعلمية رائدة، وإذا نظرت إليها من الناحية التاريخية والجغرافية والتراثية وجدتها مجلة تعنى بقضايا التاريخ وجغرافيات العالم والتراث

العربي والإسلامي والكوني، وإذا تتبعت مقالاتها ومواضيعها الفنية وجدتها مجلة فنية بامتياز.

من ثم، تتقوى هذه الرغبة لدى المشرفين على مجلة (العربي الصغير)، وقد تحولت إلى مجلة منفتحة ومتكاملة، في أن تتحول، هي أيضا، إلى «مجلة تفتح آفاق المستقبل والمعرفة لكل أطفال العربية لفك غموض المستقبل»[9].

فإذا كان الملحق العلمي لمجلة (العربي)، أي «العربي العلمي» يسعى إلى تزويد القارئ بالمعلومات العلمية الحديثة ووضعه في آخر التطورات العلمية التي توصل لها العالم الغربي في مختلف المجالات العلمية، مما يضفي «لمحة القرن الحادي والعشرين» على مجلة (العربي)، فإن مجلة (العربي الصغير) بأهمية فئة النشء في بناء إنسان الغد علميا، وفي جعله يتوق إلى المعرفة العلمية التي تقربه مما يحدث في عالمنا من تطور علمي وتقني، وتنمية قدراته وإشباع رغائبه في الأخبار والمعلومات والمعارف العلمية، بلغة مبسطة وأسلوب مشوق ورسوم وصور توضيحية، معبرة ومشجعة على القراءة والاستهلاك، والإقبال على الثقافة العلمية، والتكيف مع المتغيرات والثقة في المستقبل، مافتئت تساهم بدورها في إشاعة الثقافة العلمية وإثراء مصادرها لدى الطفل العربي في شتى مجالات المعرفة و«توسيع آفاقه العلمية، وإعطائه فرصة أكبر لمواكبة تطور العلوم والتكنولوجيا والطب والفلك والفضاء، وما إلى ذلك..»، وإذكاء ملكة الابتكار والخيال العلمي لديه، بما أن الخيال العلمي يساهم اليوم بدور فعال في إيصال الرسالة العلمية إلى الجيل الجديد، مما يعمق من وعيه العلمي، ويوسع من ثقافته العلمية، ويشعره بضرورتها اليوم. وتلك جوانب ورهانات أدركتها مجلة (العربي) منذ زمن مضى،

بوعي تربوي وعلمي لافت، وتحديدا من خلال نشرها للعديد من قصص الخيال العلمي، سواء في (العربي) أو في (الملحق العلمي)، وتعريفها بالإصدارات الأدبية والعلمية في هذا المجال. فثقافة الطفل تكاد تنحصر اليوم في الثقافة التقليدية، أو ما يمكن تسميته بالثقافة الثابتة، في حين أن ثمة ثقافة متجددة ومتفجرة، مرتبطة بثورة المعلومات التي يعرفها العالم اليوم.

وما كان ذلك ليتأتى لهذه المنابر جميعها، لولا توفر المناخ العلمي الحر والضروري لذلك، ولولا شعور القيمين عليها، والمساهمين في موادها، واختيار صورها ورسومها، بالأمانة والمسؤولية تجاه جيل الغد، وإيمانهم بالثقافة العلمية وبالنظرة المستقبلية، بعيدا عن تلك السلطة والجاذبية التي أصبح يفرضها التلفزيون على أطفال اليوم، بنسبة مشاهدة تفوق بكثير نسبة القراءة لديهم.

ثاني فئة تستهدفها مجلة (العربي) علميا، بشكل بالغ، كما تهتم بأفق تفكيرها، هي فئة الشباب، بالنظر إلى كونها الفئة التي تقبل أكثر على استهلاك التقنيات الحديثة واستخدامها. لذا، فإنه لم يغب على مجلة (العربي)، منذ بدايتها، الاهتمام بثقافة هذه الشريحة من القراء والمهتمين، ومن بين خصائصها، كما حددها الدكتور العسكري، «الاهتمام بالثقافة العلمية وإدراك أن العلم هو أساس المستقبل، وتوفير كل المعلومات عن الثورات المتلاحقة التي يعيشها العالم، سواء كانت في مجال الطاقة أو الكمبيوتر أو الجينات»[10].

وهكذا دأبت مجلة (العربي)، منذ تأسيسها، على إشاعة الثقافة العلمية، من خلال تتبعها الرصين للثورات الجديدة في

العلم ونظرياته ومفاهيمه وأساليبه وتقنياته، ولم تكن غايتها من وراء ذلك إشاعة هذه الثقافة بين أوساط الشباب فقط، بل إنها لا تتردد في تحفيزهم على محاربة الخرافات وثقافة السحر والشعوذة؛ وذلك جانب عملت مجلة (العربي) على التصدي له، مبينة أسباب تفشيه في عالمنا العربي، في الوقت الذي تحول فيه الموروث الشعبي في الغرب إلى صناعة وعلم يدخل في ترسانة أسلحة الحرب النفسية. ويمكن الاستدلال على ذلك الاهتمام بدراسة لشوقي رافع منشورة بمجلة (العربي) بعنوان «تصنيع السحر والخرافة»[11]، والتي ترجع أسباب تفشي ظاهرة الاعتقاد بالسحر والخرافة وأعمال الجن في مجتمعنا العربي إلى كون «العلم الحديث سجين الجامعات العصرية، لا يتعدى أروقتها إلى الحياة العمومية. أما الحياة العمومية فيحكمها السحر والخرافات»، حسب وجهة نظر المفكر المغربي عبد الله العروي. يحدث هذا في الوقت الذي ظهرت فيه عشرات الجامعات ومئات المراكز المخصصة للأبحاث العلمية والوضعية، بالإضافة إلى آلاف المصانع الحديثة التي تتعامل بالتكنولوجيا المتقدمة (...)، ومع ذلك فإن بعض الظواهر تكشف فجأة عن خلل عميق في النظام الفكري العربي [12].

يحدث هذا كله، في وقت ما زالت فيه المجلات والدوريات العربية التي تعنى بنشر الثقافة العلمية قليلة جدا، ولا تلقى إقبالا وانتشارا واسعين في أوساط الشباب، إذ تبين الدراسات التي أجريت ببعض البلدان العربية، في محاولة للتعرف على الميول القرائية للمجلات لدى الشباب الطلاب، أن نسبة إقبالهم على الموضوعات العلمية أقل بكثير من نسبة إقبالهم على الموضوعات الأخرى، كالجنس والدين والتاريخ

والأدب والمشكلات الاجتماعية والتربوية، وذلك أمام تدني المساحات المخصصة للثقافة العلمية في بعض المنابر والمواقع الإعلامية، في الوقت الذي اختفت فيه منابر أخرى. غير أن مجلة (العربي) وشقيقاتها صمدت، وحافظت على موعدها، ومسؤوليتها، ودورها الريادي في نشر الثقافة العلمية، وفي المساهمة في ترسيخ ما يسميه البعض بـ «شعبنة العلم»؛ بمعنى نشر الثقافة العلمية وتعميمها في الأوساط الشعبية، بشكل محبب وقريب من عقل وفكر المتلقي.

ولا غرابة في ذلك، مادام أن مجلة (العربي)، منذ بداية صدورها، صمدت كمنبر حر لكل أنواع المعرفة والعلم والتيارات الفكرية والأدبية والفنية، حيث أصبح بإمكانها اليوم، اعتبارا لطابعها الثقافي الموسوعي والشمولي وغير المتخصص، أن تغري المزيد من القراء من النشء والشباب على الإقبال عليها وعلى شقيقاتها، من زاوية ما توفره لهم من إشباع في الموضوعات التي يحبذون قراءتها والإطلاع عليها، بحيث تصبح الثقافة العلمية، وغيرها، في متناولهم، مما يحميهم من الثقافة الترفيهية الضحلة.

ومجلة (العربي)، من خلال ذلك كله، إنما تتوخى، من جهتها، سد بعض الفراغات الناتجة عن فشل مناهجنا الدراسية في التأثير على توجهات الشباب، وذلك في سبيل تكوين جيل عربي جديد، قارئ ومنتج وواع بميولاته القرائية، ومتحمس لتحصيل المعارف والمعلومات المتطورة والمواكبة للعصر، ومؤمن بدوره في عملية التنمية الاجتماعية والثقافية والتكنولوجية، خصوصا وأن أحد تقارير التنمية الإنسانية مافتئت تنبه إلى النقص الحاصل في مجال المعرفة في العالم العربي. ويرجع الدكتور وحيد محمد

مفضل سبب ذلك، في بحثه حول «الصحافة العلمية العربية.. بين الوجود والعدم»، إلى مسؤولية الصحافة العلمية والإعلام العلمي العربي بشكل عام، بما فيها القنوات الفضائية التي تعنى بنشر الثقافة العلمية، والتي لا تزيد عن قناة أو قناتين -حسب مفضل- في تفشي تلك الفجوة العلمية، لاسيما ما يهم منها قضايا التنوير العلمي وإشاعة الثقافة العلمية.

وإذا كان الدكتور وحيد مفضل يستشهد بدوره بمجلة (العربي)، فيما يتعلق بضعف نسبة توزيع المجلات الثقافية ذات الاهتمام العلمي (250 ألف نسخة من واحدة من أرقى المجلات العربية وأكثرها شعبية هي مجلة «العربي»، مقارنة بالعدد الإجمالي للسكان العرب: 250 مليون نسمة)، فما بالك بمجلات عربية أخرى ذات نسب محدودة في التوزيع محليا وعربيا، عدا تضافر أسباب موازية تحد من إشاعة الثقافة العلمية في العالم العربي بالشكل المطلوب، منها ما يرتبط بضعف أدوات النشر، ونقص الإنتاج المعرفي، وضحالة حركة الترجمة، وندرة الكتاب والباحثين العلميين والعلماء المتخصصين في الإعلام في المنطقة، ينضاف إلى ذلك كله صعوبة الكتابة العلمية؛ بما يعني، حسب د. مفضل دائما، افتقار مصادر النشر العلمي على قلتها للكتاب والمتخصصين العلميين.

أما الباحث الدكتور عبد الله الجسمي، فيرد، في سياق آخر، سبب غياب النزعة العلمية عن ثقافتنا العربية، إلى غياب النظرة النقدية الفاحصة لنزعات عصر التنوير الثلاث: الإنسانية والعقلانية والعلمية، حيث لازالت، في نظره، تسود في ثقافتنا العربية طرق التفكير المضادة للتفكير العلمي؛ بل إن

بعضهم، يضيف الباحث، قد سخر النتائج والنظريات العلمية في خدمة أفكارهم عبر التأويلات المختلفة لها وألبستها طرق التفكير الغائية أو المؤدجلة، بمعنى إلباس العلم مظاهر ثقافة غير علمية لخدمة الاعتقادات السائدة، القائمة على أسس غير علمية [13].

احتفاء مجلة (العربي) بنشر الثقافة العلمية واستشراف المستقبل العربي

سيدرك المرء، من خلال قراءة موازية في نماذج من أعداد مجلة (العربي)، مدى الدور الكبير والمتزايد الذي توليه هذه المجلة لقضايا الثقافة العلمية واستشراف المستقبل العربي، سواء من خلال تخصيصها ذلك بأبواب وأركان ثابتة، أو عبر مراهنتها المجلة على رصد وتتبع العديد من القضايا والظواهر والحالات المرتبطة بالثقافة وبالإنجازات العلمية المتطورة، منذ أعدادها الأولى، بما يعني أن مجلة (العربي)، منذ تأسيسها، قد جعلت من نشر الثقافة العلمية وإشاعتها رهانا ثقافيا وعلميا، وتحديا مجتمعيا ومعرفيا قابلا للاستيعاب، بشكل أصبح معه من الممكن اليوم أن نتتبع جانبا من تطور الثقافة العلمية، من خلال طبيعة المعلومات والمعطيات والمواد التي نشرتها المجلة منذ عددها الأول، أي منذ أواخر الخمسينيات من القرن الماضي؛ بما يكسب هذه المجلة اليوم بعدا مرجعيا أساسيا في التأريخ لتحول الثقافة العلمية وتطورها في مجتمعاتنا العربية، وفي التخطيط للمستقبل العربي، في ضوء ذلك كله.

وبالإمكان، هنا، وضع خطاطة أولى لأهم الأبواب والمحطات والجوانب التي كان للثقافة العلمية فيها حضور لافت في مجلة

(العربي)، على مستوى المواد والمعلومات والتحاليل واستشراف المستقبل العربي.

مجالات وقضايا علمية عامة

وتعتبر من بين أهم الجوانب التي تبنتها المجلة ودافعت عنها، منذ أعدادها الأولى إلى اليوم، كما دأبت على تتبعها وتطويرها، وتقديم جديدها، وفق ما يشهده العالم من تطور تقني وعلمي ومعرفي، على امتداد العقود السابقة، سواء من خلال تعريف المجلة بالأبحاث العلمية الرائدة للعلماء العرب والأجانب، أو عبر تتبعها لما يشهده العالم من ثورة وتقدم علمي، ومن تحديات واختراعات واكتشافات علمية، وتقديمها لآخر المعطيات والمعلومات في هذا المجال؛ أو أيضا من خلال مطارحتها لبعض القضايا المرتبطة بمستقبل بعض الاختراعات وتقدم البحث العلمي والتقني في العالم العربي.

تلك مجالات خصتها مجلة (العربي) بأركان ثابتة منذ العدد الأول، وخصوصا من خلال ذلك الركن الذي ما زال ممتدا فيها إلى اليوم، بتسميات متبدلة، من فترة إلى أخرى: «أنباء الطب والعلم والاختراع»، «أخبار العلم والعلماء»، «الطب والعلم»، «الجديد في العلم والطب»، «طب وعلوم وتقنيات». وهو الركن الثابت الذي يقدم لنا آخر مستجدات العلم وأصدائه وتحديات مجتمع المعلومات، والمستقبلية كرؤية علمية للغد، والترجمة العلمية، وحروب الأنترنيت، والانفجار الرقمي، سواء تم ذلك عبر المقالات التحليلية، أو من خلال الندوات التي تنظمها مجلة (العربي)، والملفات الممتازة التي تنشرها على صفحاتها، أو أيضا عبر ذلك الركن المهم المسمى «منتدى

الحوار»، أو «منتدى العربي» في مرحلة سابقة، بمتابعاته المضيئة للموضوع، وغيرها من الأركان الأخرى، بشكل أصبح معه اليوم من الصعوبة حصر مختلف أصداء تلك العلوم التي عرفت بها مجلة (العربي) وبجديدها، من خلال هذا الركن تحديدا، وذلك أمام ما تشهده المعرفة البشرية بشكل عام من تضاعف يومي سريع ومدهش.

وضعية الثقافة العلمية واستشراف المستقبل في الوطن العربي

ذلك جانب يحظى بدوره باهتمام مجلة (العربي) ورعايتها له، منذ أعدادها الأولى إلى اليوم، سواء من خلال مقالات الدكتور أحمد زكي، في بدايات هذه المجلة، في الخمسينيات، كما هو الحال في مقالاته عن «الشباب وثقافة العصر»، ومقالات صلاح عبد المجيد العربي (في السبعينيات) حول نظرته لعالم الغد بدون شعوذة وتنجيم، ومقالات الدكتور محمد غانم الرميحي (في الثمانينيات) عن العلم ووضعه في عالم متغير، ومقالات د. زكريا إبراهيم ويوسف السباعي وجميل صليبا حول الشباب وثقافة العصر والمستقبل، أو من خلال مقالات عبد العزيز كامل وسعود عياش وعلي أحمد علي وعبد العظيم أنيس، ومقالات حسان حتحوت، التوقعية والمستقبلية، حول العلم ومحنته ومستقبله في الوطن العربي، أو عبر نشر المجلة لسلسلة من المحاضرات العلمية حول قضايا علمية مختلفة، وللعديد من المحاور التي خصت بها قضية العلم ومستقبله في الوطن العربي، من خلال سلسلة المقالات الاستشرافية لعبد العزيز كامل، ومقالات أحمد بهاء الدين وإحسان حقي ومحمد مهدي وأسامة أمين الخولي وحازم الببلاوي وعياش سعود ومحمود محمود، وغيرهم، حول ثورة المعلومات، أو من خلال سلسلة

المقالات التي تنشرها المجلة حول علاقة العلم ببعض المجالات الأخرى، كالتكنولوجيا والصناعة والعلماء والمجتمع، أو حول موضوع المستقبل بشكل عام، كما هو الحال في المقالات التالية: «مستقبل التعليم»، و«مستقبل الثورات»، و«مستقبل السلطة»، و«الأنظمة الرقمية ومستقبل التعليم»، و«نحو تعليم للمستقبل»، و«تحديات القرن الواحد والعشرين»...

دعوة مجلة (العربي) إلى تبني الثقافة العلمية وإشاعتها

لم تكتف مجلة (العربي) بالتعريف بالثقافة والمنجزات العلمية، من خلال المقالات التحليلية والأبحاث وعرض المعلومات العلمية والتقنية الجديدة، بل إنها جعلت من بين أهدافها أيضا الدعوة إلى إشاعة هذه الثقافة في مجتمعاتنا العربية، سواء من خلال دعواتها المتزايدة إلى إنشاء مراكز علمية عربية للبحوث، أو عبر عرضها لأمهات الكتب العلمية الأجنبية حول عالم المستقبل ومستقبل البشرية؛ وتلك دعوات ما فتئت مجلة (العربي) تواصل الانفتاح عليها وتبنيها، وهو ما يمكن استنباطه من خلال قراءة موازية في بعض الأركان الأخرى الثابتة في هذه المجلة.

«حديث الشهر»: أو حديث العلم والمستقبل

من شأن المتتبع لركن «حديث الشهر»، الذي دأب الدكتور سليمان إبراهيم العسكري على تحريره ، أن يلمس عن كثب بعض تجليات هذا التوجه الجديد للمجلة بشكل عام، بما هو توجه يتوخى في العمق بلورة ثقافة تنويرية جديدة، لا تلغي الارتباط بالماضي بموازاة مع استشراف المستقبل، مما يؤكد الأهمية القصوى التي تكتسيها افتتاحيات الدكتور العسكري،

والتي أعتبرها شخصيا بمثابة دراسات فكرية مفتوحة على التنظير والتحليل والتأمل والسؤال؛ ولا أدل على ذلك مما تخلفه هذه الافتتاحيات من ردود فعل حوارية، نتيجة لما تحظى به المقالات والأبحاث الفكرية للدكتور العسكري، ولغيره من كتاب (العربي)، من اهتمام ومتابعة ومناقشة وإقبال عليها من قبل قراء المجلة، وذلك جانب يعكسه بعمق ركن «منتدى الحوار»، وغيره من أركان المجلة.

ويكفي أن نتأمل هنا بعضا من تلك المقالات، كما احتواها ركن «حديث الشهر» لمحرره الدكتور العسكري، على امتداد هذه الفترة التي تولى فيها مسؤولية المجلة، لكي ندرك مدى الأهمية التي أصبحت توليها هذه المجلة لإشاعة التفكير والحوار حول الثقافة العلمية واستشراف المستقبل العربي، في ضوء ما يشهده العالم اليوم من متغيرات متسارعة، انطلاقا من هذا الهاجس المركزي لدى كاتب الركن، والمتمثل أساسا في بلورة خطاب ثقافي وفكري تنويري بصدد الثقافة العلمية، وغيرها.

فمن خلال قراءة موازية في «أحاديث» الدكتور العسكري الشهرية، على سبيل المثال، نجدها تواكب التحديات العالمية الراهنة، بما هي تحديات ثقافية وعلمية ومعرفية بالأساس، تؤمن بالثقافة العلمية، بمثل إيمانها أيضا بالمستقبل الذي تصنعه هذه الثقافة. من ثم، يبرز هذا الاهتمام الجديد لدى الدكتور العسكري، في افتتاحياته الشهرية، ومن خلالها مجلة (العربي) ككل، برصد العديد من القضايا والأسئلة العلمية والمستقبلية وتحليلها، في بعديها العربي والعالمي، ومن بينها على الخصوص أسئلة وقضايا تصب في جوهر موضوع هذا البحث.

ومن شأن إعادة تأمل بعض افتتاحيات الدكتور العسكري أن يكشف لنا عن مدى عمق ثقافة الرجل وموسوعيته، وسعة اطلاعه وغزارة مقروئه، وجدة مراجعه وتنوعها، ونفاذ تحاليله أيضا، عدا مواكبته للجديد في مختلف المجالات والموضوعات التي يكتب فيها بشكل عام، وهو ما يجعل دعوتنا له بجمع أحاديثه ومقالاته بين دفتي كتاب أو أكثر مشروعة، بحسب الموضوعات التي كتب فيها العسكري، والتي يجمع بين معظمها خيط رابط، من قبيل: الإصلاح العربي، ثقافة الإصلاح، المستقبل العربي، كتابة الطفل، ثقافة الشباب، الثقافة العربية، اللغة العربية، ثقافة العولمة، العلم والتكنولوجيا، مجتمع المعرفة، التنمية الثقافية، التنوير... مما سيوفر للقراء مراجع أساسية متكاملة ومستقلة حول موضوعات وقضايا حية، خصوصا وأن موضوع أحد تلك الأحاديث عادة ما يشكل، بالنسبة للعسكري، أرضية خصبة لمواصلة التفكير والتأمل في هذه القضية أو تلك، في ضوء مستجدات وتطورات أخرى يقتضيها المقال، بما يعني كذلك أن «أحاديث الشهر»، كما يكتبها العسكري في موضوع «الثقافة العلمية واستشراف المستقبل العربي» مثلا، أو في غيرها من المواضيع الأخرى، ليست أحاديث ظرفية أو خطابات افتتاحية مناسباتية، بقدر ما تشكل خططا استراتيجية، وتفكيرا متجددا وممتدا في العلم واستشرافا أيضا للمستقبل، بمعناهما الواسعين (راجع في هذا الشأن، على سبيل المثال، ما كتبه العسكري في موضوع «الإصلاح» التربوي والثقافي والاجتماعي، في ثلاثة أعداد متتالية: مجلة «العربي»، 459 و560 و561، يونيو - يوليوز- أغسطس).

ويمكن، على سبيل المثال، استيحاء جملة من الأفكار التي

يتبناها ركن «حديث الشهر»، في موضوع الدعوة إلى نشر الثقافة العلمية وإشاعتها واستشراف المستقبل العربي، ويدافع عنها من المنظور الخاص لكاتبه، ووفق الفكرة المهيمنة في هذا الحديث أو ذاك، من خلال الإحالة على السياقات التالية:

✦ التذكير بأن التاريخ عبر الإعلام يتحول إلى مادة أولية لتصنيع المستقبل (العدد 405، أغسطس 1998)؛

✦ تبني العلم والتقنية والدعوة إلى الاحتماء بها من الخرافة والأوهام، بدل الانغلاق والنكوص (العدد 395، أكتوبر 1991)؛

✦ ضرورة تعامل الشباب على وجه الخصوص مع العولمة وأدواتها كمشروع كوني للمستقبل، باعتبارها الفئة المستهدفة أكثر من الأجيال الأكبر سنا (العدد 512، يوليوز 2001)؛

✦ الدعوة إلى إقامة صناعة ثقافية عملاقة تنقل الواقع الثقافي والعلمي العربي المتردي إلى المستوى الذي يؤهلنا لمواكبة عصر العولمة وتحدياته (العدد 514، سبتمبر 2001)؛

✦ ليس أمام العرب لتحقيق أي نهضة منشودة سوى التفاعل مع العالم الجديد والتعامل معه بلغته (العدد 517، ديسمبر 2001)؛

✦ إبراز الهدف من المشروع الثقافي الكويتي من خلال مجلة (عالم المعرفة)، والمتمثل في خلق رأي عام مثقف علمي مستنير، من خلال تبسيط الثقافة المعاصرة وتقريبها من القارئ العربي، وأن تكون الوسيط الواعي بينه وبين العصر المتسارع (العدد 519، فبراير 2002)؛

+ مناشدة كل الأجهزة المسؤولة من أجل إنقاذ المستقبل العربي، من خلال إنقاذ الطفل وضمان حقه في الحرية والتعلم والمعرفة والابتكار (العدد 533، أبريل 2003)؛

+ التأكيد على أهمية احترام الرؤية المضادة لكل تطور مستقبلي. فسيناريوهات الدراسات المستقبلية كثيرا ما تعاني إخفاقا مخجلا أمام اختبارات الزمن (العدد534، مايو 2003)؛

+ الدعوة إلى الخروج من الأزمة التي تعاني منها الثقافة العربية، عبر التحرر من الانغلاق على الذات وفتح أبواب التعليم والمعرفة وإشاعة الثقافة وقيمها في الحياة العربية (العدد 538، سبتمبر 2003)؛

+ التنبيه لأهمية توفر مناخ من الحرية في البحث العلمي، وإشاعة التفكير العلمي وحمايته في مجتمعاتنا العربية، ودعم طموحات المجتمع المدني المتطلع إلى علمية الرؤى وإنسانية التقنية وفتح أبواب الاجتهاد وتوفير الحرية (العدد 539، أكتوبر 2003)؛

+ دراسة معوقات قيام مجتمع المعرفة وتوطين العلم في عالمنا، والسعي الحثيث والدائم إلى تحقيق ذلك (العدد 541، ديسمبر 2003)؛

+ ضرورة النقد والاستئصال لثقافة الخرافة والثقافة السحرية لتحرير العقل العربي (العدد 542، يناير 2004)؛

+ التأكيد على أهمية نشر الثقافة العلمية في المجتمع لحمايته من الاستخدامات السيئة للعلم ومفرزاته، خاصة في

أبعادها الاستهلاكية اليومية، أو في مشاريعها الاستراتيجية، واستثمار الثقافة العلمية في التنمية الإنسانية، دون أن يتم ذلك على حساب أشكال أخرى من الثقافة التي ينبغي إعلاء شأنها (العدد 544، مارس 2004)؛

+ العمل على سيادة التفكير العقلاني العلمي وتجاوز المرجعيات الخرافية والأسطورية وحصرها في مجال الفولكلور. واعتبار الإنتاج العلمي والتكنولوجي والمعلوماتي خيارا ضروريا في الحياة المعاصرة، والاهتمام بقضية البحث العلمي والدعوة إلى تخصيص ميزانية معقولة لذلك، ووضع الإنتاج الثقافي الرفيع في متناول الطبقات الشعبية (العدد 561، أغسطس 2005)؛

+ نشر الحقائق العلمية المبسطة ليس هو الهدف النهائي للثقافة العلمية، فالثقافة بمعناها الواسع هي محصلة العلوم والمعارف والفنون التي يسترشد بها الإنسان لاتخاذ مواقفه وطريقة حياته، ومن أهم أهداف الثقافة العلمية أن يتخذ الإنسان لنفسه الطريق أو المنهج العلمي لحل مشاكله في حياته اليومية (العدد 565، 1 ديسمبر 2005).

انطلاقا من مجموع هذه الأفكار، ومن مختلف المعطيات المرتبطة بهذا الموضوع وغيرها، كما استقيناها، على سبيل المثال فقط لا الحصر، من ركن «حديث الشهر» لرئيس تحرير المجلة، في بعض خطاباته وحلقاته، ولو بهذا الشكل الاختزالي الشديد، يمكن القول بأن مسألة الثقافة العلمية واستشراف المستقبل العربي أضحت اليوم من بين الأولويات المهيمنة على التصور النظري والتفكير النقدي للمجلة، وعلى توجهها الثقافي العام؛ ولا أدل على ذلك من عدد «الأحاديث» التي خصصها

الدكتور العسكري، منذ التسعينيات، لتأمل هذا الموضوع، والبحث فيه، والدفاع عن أهميته اليوم في مجتمعاتنا العربية والغربية على حد سواء، من منظور علمي شمولي، يراعي التوجه الثقافي للمجلة، وليس من قناعة شخصية للكاتب، بحيث مافتئ العسكري يتوسل في مجموعة من افتتاحياته للمجلة، لأجل مقاربة ذلك، بالعديد من المعارف والنظريات والمراجع والكتب العلمية الحديثة لمتخصصين غربيين وعرب، من المهتمين بالعلم والثقافة العلمية والمستقبل، وكذا تحليل العديد من المفاهيم ذات الصلة، بشكل مباشر أو غير مباشر، بالثقافة العلمية، كمفهوم «العولمة» و «الثقافة المهيمنة» و«القرية الإلكترونية».

كما لا يفوت الدكتور العسكري، في مناسبات أخرى، أن يدق أجراس التحذير والإنذار لما آل إليه قطاع التعليم بالوطن العربي، وتفشي القيم السلبية في العمل والسلوك والتشوه العام، سواء في أحاديثه ومقالاته، أو في مداخلاته في المؤتمرات والندوات واللقاءات العلمية، الدولية والعربية، من موقع متابعته الرصينة لما يحدث في العالم من حولنا؛ كما تجده يساهم بالاقتراح لبعض الخطط المستقبلية، وبالمناقشة للعديد من التقارير وتجارب الإصلاح في العالم، وأدبيات منتديات الإصلاح، واستنهاض كوامن أمتنا العربية للحاق بالآخرين الذين يسبقوننا. وهي الدعوة التي تجد صداها في أكثر من مقال وحديث للعسكري، هو الذي يقول، منبها مرة أخرى لهذا الموضوع نفسه: «في أكثر من مقالة سابقة، وجدت نفسي مدفوعا للحديث عن شروط القوة والنهوض في هذا العصر، الذي هو بلا شك عصر العلم ومفرزاته واستحقاقاته (...)، ولقد وجدت لأحاديث الاستنهاض العلمي تلك أصداء إيجابية يبلغ بعضها حد الحماس في تكرار

النداء..» (حديث الشهر: «العلوم الإنسانية وفجر عصر النهضة»، في: العربي، العدد 567، فبراير 2006، ص8).

وكثيرا يلجأ الدكتور العسكري، في أحاديث ومقالات أخرى، إلى المقارنة بين وضعنا الثقافي والعلمي العربي وغيره من الأوضاع الثقافية والعلمية الأخرى في بلدان أخرى، عربية وأجنبية (في إسرائيل على وجه الخصوص)، من قبيل تصديه وانتقاده بجرأة نادرة للقوى الرافضة للتغيير والتطور، والمتغلغلة في ثنايا البناء المجتمعي العربي، فتجده يعري أسباب تقوقعنا وتخلفنا العلمي، و يدافع عن الدور المهم الذي يمكن أن تقوم به بعض المنظمات والمؤسسات العربية في نهضتنا الثقافية والفكرية والعلمية وإشاعة الثقافة العلمية، بمثل دفاعه كذلك عن إقامة مؤسسات لمشروعات ثقافية كبرى، وإحداث صناعة ثقافية تنقل الواقع الثقافي والعلمي العربي المتردي إلى المستوى الذي يؤهلنا لمواكبة عصر العولمة وتحدياته، كما ينتصر لقيام إعلام عربي متقدم ومتطور، قادر على المساهمة في تصنيع المستقبل بتحويل التاريخ إلى مادة أولية لهذه الصناعة.

ونجده في أحاديث أخرى يدافع عن بعض التجارب الثقافية الفريدة في دولة الكويت وخارجها، كتنويهه بمجلة (عالم المعرفة) الكويتية، وبما تتناوله هذه السلسلة من جوانب المعرفة، وما تهدف إليه على مستوى الدفع بالقارئ العربي غير المتخصص إلى أن يواكب أحدث التطورات الفكرية والعلمية ويلم بثقافة العصر، ويحيط بمشكلات العالم الذي يعيش فيه، وتحثه على عدم تجاهل تراثه وعناصر الأصالة في شخصيته القومية، بمثل تنويه الكاتب أيضا ببعض المبادرات العربية الجديدة في مجال التعليم الرقمي.

وفي صلب هذا كله، تجد الدكتور العسكري يستهدف، بشكل لافت، فئتين عمريتين تحديدا، هما فئة النشء وفئة الشباب، من حيث اهتمامه بثقافتهما ودعوته الملحة إلى تشجيعهما على الدخول إلى مجتمع المعرفة، بما في ذلك دعوة الأجهزة المسؤولة عندنا إلى إنقاذ المستقبل العربي بمشاريع تؤسس لمستقبلنا، وتقبل أطفالنا تحت مظلة تنمية العلم والمعرفة، بمثل دعوته أيضا إلى التفكير في مستقبل الثقافة العربية وحرية البحث والابتكار والتحصيل العلمي القائم على التفكير العلمي، ونبذ كل شكل من أشكال الثقافة المعاكسة، كثقافة الخرافة والوعي السحري...

فالثقافة العلمية، في نظر الدكتور العسكري، تنظر إلى المستقبل عبر براعم الحاضر مباشرة، فلاشك، يضيف العسكري، في أحد أحاديثه الشهرية، في أن الطفل أو الصبي أو الشاب الصغير -المزود بالثقافة العلمية منذ نعومة أظفاره- يكون قادرا على اختيار مجال التخصص الذي يتلاءم مع مواهبه وقدراته الخاصة، فيحدد اتجاهه بشكل أصوب ويكون عطاؤه أنجح، ويصير المردود عليه أكثر اتساقا وإبهاجا، وعلى مجتمعه أوفر عطاء وإنتاجا، وأرفع قيمة.

وتتم صياغة ذلك كله في ركن «حديث الشهر» من منطلق علمي ومعرفي رصين، وليس من منطلق أهواء ومزاعم، وأيضا من منطلق الوفاء للتوجه العام الجديد للمجلة، بما يجعل من «حديث الشهر» منبرا مكملا ومضيئا لمختلف المشاريع التي فتحتها المجلة، أو غيرها من المنابر والمؤسسات والهيئات والمنتديات الأخرى، ومرجعا ثقافيا ودرسا مفيدا في الدعوة إلى تبني الثقافة العلمية، كضرورة لا مناص منها لحماية مجتمعاتنا

العربية واستشراف مستقبلها، لما لهذه الثقافة كذلك من تأثير حقيقي يهم التنمية الإنسانية والتطور العصري في أي مجتمع (العدد 544، مارس 2004).

من ثم، فإن نشر الثقافة العلمية –كما هو الشأن بالنسبة لنشر الثقافة عموما– حسب الدكتور العسكري، يشكل مساهمة في صقل وإرهاف الإنسان بفعل المعرفة. كما أن وعيه بالعالم الذي يعيشه زمانا ومكانا سيزيد من شدة بصره ودقة بصيرته، في الحركة نحو مواقع جديدة ورفيعة في الحياة المعيشة، الأمر الذي يستدعي، حسب الدكتور العسكري، تزويد صانعي القرار العرب ومتخذيه بالثقافة العلمية –خارج تخصصاتهم الوظيفية المتعلقة بالإدارة والسياسة– والتي من شأنها أن تجعل هذه القرارات أصوب مستقبليا، إذ تمنح الثقافة العلمية بصيرة مستقبلية، منطقية التتابع وذات أسس ملموسة (العدد 544، مارس 2004).

ولعل «حديث الشهر» المعنون بـ («الثقافة الثالثة»... ولكن...) الذي خص به الدكتور العسكري العدد 544 السالف الذكر، بما يتضمنه من أفكار وتحليل لمفهوم الثقافة العلمية، ووضعها ودورها في التنمية الإنسانية، لخير دليل على الدور الجديد الذي تضطلع به مجلة (العربي) في التنوير ونشد التقدم والتطور لمجتمعاتنا العربية، وإشاعة الثقافة العلمية، وفق منظور استشرافي يذكي إدراك الفرد وشعوره بمسؤوليته تجاه مستقبله وبشروط فهمه له، في سياق ثقافي ومعرفي وحضاري واجتماعي واقتصادي وذهني متكامل. ومن يطلع أيضا على ما كتبه العسكري في أحد أحاديثه الشهرية، المنشورة بمناسبة تنظيم ندوة «الثقافة

العلمية واستشراف المستقبل»، في موضوع «العرب والثقافة العلمية.. ترف فكري أم ضرورة عصر؟»، سوف يلمس عن كثب مدى حرص مجلة (العربي) بشكل عام، والمشرفين عليها بوجه خاص، على تبني «الثقافة العلمية»، واعتبارهم الندوة السالفة الذكر بمثابة «أداة أخرى لتوكيد النداء/ المطالبة، فهذا الرافد من روافد الثقافة الإنسانية يستحق الكثير من العناية، والجاد من الأسئلة»، على حد تعبير الدكتور العسكري (العدد 565، 1 ديسمبر 2005)؛ وهو اهتمام ما فتئت مجلة (العربي) تراهن على الاستمرار في الانفتاح عليه، وتعميقه، وتطويره في كل مناسبة يتاح لها ذلك، من قبيل تلك التي جمعت الدكتور سليمان إبراهيم العسكري في ركن «وجها لوجه» (رفقة بعض أعضاء أسرة التحرير: محمد المنسي قنديل وأشرف أبو اليزيد وهذايل الحوقل) بالبروفسور والباحث المصري رشدي راشد، في حديث وحوار مفتوح وجريء، حول: الثقافة والمؤثرات العلمية، والبحث والنشر العلمي في الوطن العربي وفي إسرائيل..؛ بما يعني أن التفكير في قضية العلم والبحث العلمي، في وطننا العربي، يشكل جزءا مركزيا وممتدا في المشروع التنويري والعقلاني لمجلة (العربي) (العدد 581، أبريل 2007).

وذلك موقف ينم عن مدى إيمان مجلة (العربي) برسالتها التنويرية تجاه مجتمعاتنا التي ما زالت تئن تحت وطأة الجهل والتخلف، والتقاعس عن مواكبة التطور الحضاري والعلمي والتقني، لكن من منظور لا يلغي التوسل كذلك بنوع من الحذر واليقظة في التعامل مع الثقافة العلمية بلا حماس مفرط، حتى لا تتحول، حسب الدكتور العسكري، إلى بديل شامل عن مجمل الثقافة الإنسانية (العدد 544)، وهو الأمر نفسه الذي ينبه إليه

العسكري في كل مناسبة تتاح له، بما فيه دحضه لذلك النوع من الفهم الخطير الذي يربط نداء النهوض بالعلوم الطبيعية ويغفل حقول العلوم الإنسانية (حديث الشهر، العدد 567، فبراير 2006، ص8).

«مستقبليات» و«فكر»: أو ضرورة الثقافة العلمية والحاجة إلى استشراف المستقبل

من شأن المتأمل أيضا في هذين الركنين المتميزين في مجلة (العربي) أن يخرج، للوهلة الأولى، بالاستنتاج التالي:

كون العديد من المقالات والدراسات النظرية والفكرية التي يضمها هذان الركنان تنكب على قراءة وتحليل بعض القضايا والأسئلة الموازية لما يعرفه العالم اليوم من تطور علمي وتقني، كما تفكر فيها من زاوية نظرية وتحليلية جديدة، بالنظر إلى كونهما ركنين يتكاملان فيما بينهما، على مستوى التصورات والأسئلة التي يصوغانها، خصوصا وأن بعض الدراسات التي أصبح يحتويها ركن «مستقبليات»، على سبيل المثال، كان ركن «فكر» في السابق وعاء لها، أي قبل أن تصبح ضرورة التفكير في المستقبل أحد رهانات مجلة (العربي) اليوم؛ الأمر الذي حتم ربما على المشرفين على المجلة إحداث ركن جديد باسم «مستقبليات»، من منطلق الأهمية التي يحظى بها اليوم التفكير في المستقبل. فالتحرر من التخلق رهين بالنظر إلى المستقبل، ونظرتنا إلى المستقبل مرهونة بالمعرفة والعلم اللذين هما سلاح المستقبل.

من ثم، يكتسي هذان الركنان قيمة فكرية ورؤية استشرافية

خاصة، بما يتوسلان به من تصورات علمية وأفكار، تنتصر في مجملها للثقافة العلمية والمعرفية، وتتطلع إلى استشراف آفاق المستقبل بطريقة علمية.

هذا الشعور، إذن، من قبل مجلة (العربي) بالحاجة إلى قراءة المستقبل واستشرافه، ومواكبة علم المستقبل، جعل القيمين عليها، ضمن التوجه الثقافي الجديد للمجلة، يخصون هذا العلم، مع بداية الألفية الثالثة من القرن الجديد، بركن خاص وباسم جامع ودال، أضحى معهما هذا التخصص مرتبطا بعالم عربي كبير هو الدكتور أحمد أبو زيد، استجابة لدعوة كريمة من المجلة، فأصبح القارئ العربي على موعد شهري مع هذا الركن المضيء ومع كاتبه، بما يصوغه من نظريات، وبما ينحته من مقولات، وبما يبدعه من تفكير جديد حول قضايا العصر والعلم والمعرفة والمستقبل.

إن اهتمام مجلة (العربي) بموضوع المستقبل ليس وليد هذه المرحلة، بل هو موضوع سبق للمجلة أن اهتمت به قبل هذا التاريخ، من خلال مجموعة من الدراسات التي نشرتها المجلة لمفكرين عرب وازنين...

كما ازداد اهتمام مجلة (العربي) بسؤال المستقبل في التجربة البشرية على وجه الخصوص، من خلال ركن «فكر»، بما يحتويه من دراسات لمفكرين وباحثين آخرين، كشوقي جلال ومحمد حافظ دياب وحامد عمار ونبيل علي ورمضان بسطاويسي محمد وهادي نعمان الهيتي، وغيرهم.، في محاولة من مجلة (العربي) مواصلة إشاعة نوع من التفكير العلمي حول المستقبل، والتحفيز على ضرورة الاهتمام به ودراسته، من خلال

البحث في المسارات التاريخية للعلم وتوجهاته وخلفياته المعرفية، والبحث في ممكناته واحتمالاته وتحليل نتائجه أيضا، بناء على تحليل الحاضر والوعي الحاد بالواقع الراهن وملابساته، حيث أصبح «الوعي بالعلم ضرورة ثقافية»، على حد تعبير هادي نعمان الهيتي، في مقالتها بالعنوان ذاته، والمنشورة ضمن هذا الركن نفسه (العدد 580، مارس2007).

وقبل هذا التاريخ، كانت مجلة (العربي) قد جعلت من بين أهدافها كذلك التفكير في المستقبل في العديد من صوره وجوانبه. ويكفي أن نشير هنا إلى بعض مواد المجلة، في أعدادها السابقة، وهي لكل من: محمد الرميحي وأحمد كمال أبو المجد وفؤاد زكريا حول المستقبل، لكي نستدل على أن موضوع استشراف المستقبل، بشكل عام، كان من بين الهواجس والرهانات الأساسية للمجلة ولكتابها، فجاءت العقود والسنوات اللاحقة لتعمق هذه الرغبة، ولتجعل من «المستقبل» موضوعا آنيا وضرورة حضارية مهيمنة.

وشبيه بهذا الركن (مستقبليات) نجده في مجلة كويتية أخرى، رائدة هي أيضا، هي (مجلة الكويت)، من خلال مساهمات لأقلام ليست بغريبة عن مجلة (العربي)؛ ويتعلق الأمر، هنا، بركن «نظرة على المستقبل»، والذي يكاد يلتصق هو أيضا، شأنه في ذلك شأن ركن «مستقبليات»، باسم مثقف كبير، هو الدكتور محمد الرميحي، في نظراته الثاقبة إلى المستقبل العربي، من خلال تأمله لبعض القضايا الحيوية، والتي تهم بالأساس استشراف المستقبل العربي في ضوء المتغيرات والتحديات العالمية الجديدة.

ومن بين مقالات الدكتور الرميحي المضيئة فعلا، والتي

تصب في اتجاه موضوع هذه الندوة، مقالته: «أيهما أقرب إلى الثقافة: الجيل القادم أو السابق؟ الشباب العربي والتساكن الثقافي»، وفيها رصد دقيق لإشكالية علاقة الشباب العربي بالثقافة والتقنية(14).

وتبقى دراسات وأبحاث وآراء الدكتور أحمد أبوزيد، في ركن «مستقبليات»، نقطة أخرى مضيئة في المشروع التنويري لمجلة (العربي)، عبر ما تكشف عنه تلك المقالات والتحاليل من جهود فكرية للدفاع عن حق الفرد في التعليم والعلم والمعرفة لمواجهة التحديات المستقبلية واستشراف مدينة المستقبل(15).

من هذا المنطلق التراكمي، إذن، الذي حققته مجلة (العربي)، وما تزال تعمل على تجديد التفكير حوله في مجال المعرفة العلمية تحديدا، على امتداد مسيرتها التنويرية، وانطلاقا من الأدوار الطلائعية التي تضطلع بها، على صعيد الوطن العربي وخارجه، على مستوى إشاعة الثقافة العلمية واستشراف المستقبل العربي، فإننا نهيب بهذه المجلة أن تبادر بدورها إلى إحداث «**مركز للأبحاث والدراسات**»، يكون تابعا لها، ويشكل جزءا من منظومتها ورسالتها الإعلامية والثقافية، لينضاف إلى عدد مراكز الأبحاث والدراسات المحدثة بالكويت، من أجل تطوير البحث والعمل العلمي وإشاعة الثقافة العلمية، في الوطن العربي وخارجه. فالمعاهد البحثية هي المرآة التي تعكس اهتمام الأمم والشعوب بالعلم والمعرفة واستشراف آفاق المستقبل، وفق المنظور العلمي والمعرفي، كما تعكس توجه الأمم والشعوب في حفظ تراثها ومنجزاتها المعرفية والحضارية، على حد تعبير محمد محفوظ، الأمر الذي سيساهم بقوة في نشر الثقافة العلمية وإشاعتها، خصوصا أن مجلة (العربي)

كانت سباقة إلى الدعوة إلى إنشاء مراكز عربية للبحث منذ الثمانينيات، فـ «من مسؤولية المجلات العلمية أيضا تطوير وتوفير إجابات وحلول علمية ومتكاملة للأزمات المطروحة قيد البحث»، حسب بول سالم [16].

ولن يتأتى ذلك لمجلة (العربي)، إلا من خلال مركز للأبحاث، تتكامل مهمته مع ما تقوم به مجلة (العربي) على مستوى تتبع التطورات العلمية واستيعابها ودراستها ونشرها، ونشر الوعي بالمستقبل، والبحث في تحديد منهجية علمية لاستشراف المستقبل العربي ورسمه وهندسته، وتحديد شكل المستقبل الذي نريده ونتوخاه في وطننا العربي، بموازاة مع التأكيد أيضا على قدرة اللغة العربية على مواكبة علوم العصر واستيعاب الثقافة العلمية، عبر العمل على إحياء هذه اللغة وحماية قوانينها وإغنائها بمفردات جديدة، على حد تعبير مها خير بك نصر، وكذا الدعوة إلى إكساب الإنسان العربي الوعي اللغوي اللازم ضد كل تضليل وتعتيم وإشاعة اللا علمية والفكر الخرافي [17]، حسب د. نبيل علي؛ بما أن مجلة (العربي) أضحت تستقطب اليوم أصحاب الخبرة والاهتمام بالثقافة العلمية في آخر إفرازاتها؛ فإليها أيضا يعود الفضل في تطوير الثقافة العلمية لقرائها من مختلف الأجيال، عن طريق الأبحاث والمقالات العلمية، بحيث تقوم هذه المجلة، حسب ما هو متاح فيها لهذا النمط من الثقافة والتفكير، برفد القارئ العربي غير المتخصص بالمعرفة والمعلومات والثقافة العلمية الهادفة والمتطورة، والمعرفة التراثية العلمية، والتحليل العلمي المضيء للعديد من القضايا والظواهر العلمية المختلفة، ورفع تحدي استشراف المستقبل العربي، أمام ما تشهده ساحتنا الثقافية

من سلبية وفوضى وتقاعس وتصحر فكري، بموازاة مع ما تعرفه مجتمعاتنا أيضا من غليان اجتماعي وضغوط سياسية واقتصادية، وغياب لفلسفة اجتماعية، مما لا يترك لها المجال للتفكير في مستقبلها التنموي والعلمي.

هوامش :

1-نشير هنا على سبيل المثال إلى المجلات والدوريات التالية: الكويت – العربي – علوم وتكنولوجيا – التقدم العلمي – العلوم – الثقافة العالمية – عالم المعرفة – مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية – مجلة العلوم الاجتماعية – المجلة العربية للعلوم الإنسانية – عالم الفكر، وغيرها.

ومن بين ما يزكي أيضا هذا الطموح الكبير، من قبل المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، حرصه على تطوير المجلات التي يصدرها، من خلال بعض الأفكار الجديدة التي يعمل المجلس على دراستها، من بينها على الخصوص إصدار سلسلة «عالم المعرفة للشباب»، من منطلق رغبة جيل الشباب في معرفة حقائق العلم والفكر من حوله بطريقة أكثر تبسيطا. (نقلا عن محمد المنسي قنديل، 25 عاما من عالم المعرفة، في مجلة «العربي» العدد 541، الاثنين 1 ديسمبر 2003).

2 – نقلا عن أحمد محمود عبد الجواد، مجتمع المعرفة العربي، مجلة «العربي»، العدد 549، الأحد 1 أغسطس 2004.

3 – د. سليمان العسكري، في تقديمه لكتاب «المعرفة وصناعة المستقبل» للدكتور أحمد أبو زيد، العدد 61، يوليو 2005.

4 – المنشور في كتاب «مستقبل الثقافة العربية»، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1998، ص 141 – 166.

5 – نقلا عن د. نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، عدد 265، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، يناير 2001، ص 137.

6 – د. رمضان بسطاويسي محمد، في مقدمته للترجمة العربية لكتاب: «مستقبل الفلسفة في القرن الواحد والعشرين: آفاق جديدة للفكر الإنساني»، تحرير: أوليفر ليمان، ترجمة: مصطفى محمود محمد، مراجعة: د. رمضان بسطاويسي، في: عالم المعرفة، العدد 301، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، مارس 2004، ص 11.

7 – د. أحمد أبو زيد، مجلة العربي والجمع بين الثقافتين، في «العربي: سيرة مجلة»، وزارة الإعلام – الكويت (ب.ت)، ص 158.

8- محمد إبراهيم أبو سنة، «..العربي..ومفهوم مستقبلي للثقافة العربية»، في:«العربي: سيرة مجلة»، مرجع مذكور، ص195.

9- د.سليمان إبراهيم العسكري، مسيرة «العربي» تجربة في الثقافة العربية، في: «العربي»: سيرة مجلة»، مرجع مذكور، ص 14.

10- سليمان إبراهيم العسكري، «ثقافة الشباب ومستقبلها: التجربة الكويتية»، جريدة «الطليعة»، 24 مارس 2004.

11- العربي، العدد 419، أكتوبر 1993.

12 - المرجع نفسه، ص 59.

13 - د. عبد الله الجسمي، نزعات عصر التنوير، في مجلة «العربي»، العدد 575، أكتوبر 2006، ص21.

14- د. محمد الرميحي، في «مجلة الكويت»، العدد 244، 1 فبراير 2004، ص 40.

15- راجع، في هذا الصدد، مقالة أحمد أبو زيد، المدينة هي المستقبل.. ولكن أي مدينة؟، في مجلة (العربي)، العدد 570، الاثنين 1 مايو 2006.

16- بول سالم، في افتتاحية العدد الأول من مجلة «أبعاد».

17- نبيل علي، في مجلة (العربي)، العدد 559، الأربعاء 1 يونيو 2005.

المحتويات



باحث وناقد أدبي.
عضو اتحاد كتاب المغرب،
وعضو مكتبه التنفيذي.
مشاركات في ملتقيات ثقافية داخل
المغرب وخارجه.

صدر له:

- كينونة النص الروائي
- رواية الأوهام وأوهام الرواية
- الشاعر لم يمت
- سؤال الحداثة في الرواية المغربية
- الفوضى الممكنة
- الرواية المغربية بالعربية
- سيرة الكتابة
- ضوء القراءة
- سيرة الفقدان
- من الإصلاح إلى التنوير

el-allam@maktoob.com

كنا بحاجة ماسة إلى من يذكرنا بالخطوات التي قام بها زملاؤنا بالأمس في حقل الإصلاح والتنوير، ليس من أجل التذكير فقط، ولكن من أجل استخلاص العبرة ومتابعة المسيرة التي دشنها السابقون.

وقد ادخرت الأقدار هذه المهمة للباحث والناقد الأستاذ عبد الرحيم العلام الذي قام أحسن قيام -إلى جانب تآليفه المعروفة- بالمقارنات والمفارقات بين مجلة كنت أستمتع بتصفحها على ساحل المحيط وأنا ما أزال يافعا... كانت تحمل اسم (مجلة المغرب)، وبين مجلة أخرى صدرت في الخليج، وتحديدا بدولة الكويت، تحمل اسم (العربي)، وكان لي شرف أن أكون أول مراسل لها في المغرب.

وإن الذين يتطلعون إلى معرفة الأصرة التي تجمع بين المبادرتين الاثنتين هم وحدهم الذين يقدرون هذا الفكر الإبداعي الذي حمل نجلنا عبد الرحيم على أن يقرن بين عمل ظهر في المغرب في ظروف كنا فيها بحاجة إلى من يرشدنا، بحكمة وتبصر، إلى الطريق... وبين عمل مماثل ظهر في الكويت كان يهدف أيضا إلى توعية المواطن بما ينبغي أن يكون عليه.

ولا شك أن تذكر زميلنا الأستاذ العلام لـ(مجلة المغرب) التي كان لها صيتها بالأمس، سيحملنا على السير جنبا إلى جنب مع المبادرتين الاثنتين، وسيحمل إخواننا في المشرق على تتبع مسيرتنا طوال القرن الماضي على نحو ما كان منا في المغرب ونحن نتتبع خطواتهم عبر مجلة (العربي) الرائدة، التي كانت وستظل نموذجا للسفير الذي يرشدك ولا يتعبك ويؤنسك ولا يكلفك.

وحسبي في ختام هذه الديباجة أن أقول إن مثل هذه البحوث يدخل في العمل الدبلوماسي الموازي للعمل الدبلوماسي الرسمي، والذي من شأنه أن يزي... العلاقات ومد الجسور ويرقى بنا إلى المستوى الرفيع الذي ننشده لغدنا الب...

د. عبد الهادي التاز...
عضو أكاديمية الممل...

